مجلة شهرية

عدد: Issue No: 217

شهر تموز July 2025

نـــــــور يسوع المسيح الغالب ΧΡΙΣΤΟΥ

المســـيـــح ΦΩΣ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

Ἱερά Μονή Καρακάλλου - Ἅγιον Ὄρος

دير كاراكالوا العامر للروم الأرثوذكس، جبل آثوس

يُعيّد الدير للقدّيسَين الرسولين بطرس وبولس في التاسع والعشرين من حزيران (بحسب التقويم الشرقي)، الموافق للثاني عشر من تمّوز (بحسب التقويم الغربي).

رِسالَةُ صاحِبِ الغِبْطَةِ
بَطْرِيَرْكِ المَدِينَةِ المُقَدَّسَةِ
كِيرْيُوس كِيرْيُوس ثِيوفِيلُوسَ

بِمُناسَبَةِ تِذْكارِ حافِلِ
لِلرُّسُلِ القِدِّيسِينَ الاثْنَيْ عَشَرَ

– ٣٠ حَزِيرانَ شَرْقِيّ، المُوافِقِ ١٣ تَمُّوزَ غَرْبِيّ لِعامِ ٢٠٢٣ –

فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَ تلاميذهُ قَائِلًا: «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ». آمِينَ (متى ٢٨: ١٨–٢٠)

أيها الإخوة المحبوبون في المسيح ،
أيها المسيحيون الأتقياء.

إِنَّ الرُّسُلَ القِدِّيسِينَ الاثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِينَ نَالُوا نِعْمَةَ الرُّوحِ القُدُسِ، قَدْ جَمَعُونَا اليَوْمَ فِي هَذَا المَكَانِ المُقَدَّسِ، حَيْثُ ظَهَرَ يَسُوعُ المَسِيحُ مُخَلِّصُنَا، بَعْدَ قِيَامَتِهِ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ، عَلَى بَحْرِ طَبَرِيَّةَ (يُوحَنَّا ٢١: ١)، وَذَلِكَ لِكَيْ نُعَيِّدَ مُكْرِمِينَ لِتِذْكَارِهِمُ المُقَدَّسِ الجَامِعِ.

إِنَّ الرُّسُلَ القِدِّيسِينَ يُشَكِّلُونَ الأَسَاسَ لِأَعْضَاءِ جَسَدِ الْكَنِيسَةِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا يُكَرِّزُ القِدِّيسُ بُولُسُ الرَّسُولُ قَائِلًا: «فَلَسْتُمْ إِذًا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلًا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ» (أَفَسُس ٢: ١٩–٢٠). وَذَلِكَ لِأَنَّ الرَّبَّ أَوْصَى تَلَامِيذَهُ، **أَوَّلًا**: بِأَنْ يَذْهَبُوا وَيُتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ، وَيُعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ، **وَثَانِيًا**: بِأَنْ يُعَلِّمُوا الأُمَمَ كُلَّ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ تَلَامِيذَهُ، **وَثَالِثًا**: لِأَنَّهُ أَكَّدَ لَهُمْ أَنَّهُ سَيَبْقَى مَعَهُمْ كُلَّ الأَيَّامِ، إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ.

إِنَّ هذِهِ الخَصَائِصَ الثَّلَاثَ الْمُمَيَّزَةَ لِلرُّسُلِ تُشَكِّلُ رَسُولِيَّةَ الْمُؤَسَّسَةِ الْكَنَسِيَّةِ، وَنَقُولُ هذَا لِأَنَّ رُسُلَ الْمَسِيحِ قَدْ حَازُوا نِعْمَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ جَوْهَرِيًّا وَلَيْسَ أَخْلَاقِيًّا، «وَأَمَّا التَّلَامِيذُ فَكَانُوا يَمْتَلِئُونَ مِنَ الْفَرَحِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ» (أَع١٣: ٥٢)، كَمَا يُكَرِّزُ الرَّسُولُ لُوقَا، عِنْدَمَا كَانَ مُتَوَاجِدًا فِي أَنْطَاكِيَةِ بِيسِيدِيَّة. وَأَمَّا عَنِ الرَّسُولِ بُطْرُسَ، فَإِنَّ الرَّبَّ يَقُولُ: «وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا» (مَتَّى ١٦: ١٨). وَكَمَا يُرَتِّمُ نَاظِمُ تَسَابِيحِ الْكَنِيسَةِ قَائِلًا: «**لَقَدِ اقْتَبَلْتُمْ جَمِيعًا، أَيُّهَا الْحُكَمَاءُ، نُورَ الرُّوحِ الْقُدُسِ كُلَّهُ، ظَاهِرًا فِيكُمْ ظُهُورًا جَوْهَرِيًّا فِي الْعَلِّيَّةِ، فَتَلَقَّنْتُمْ أَسْرَارَ التَّعْلِيمِ السَّامِي، فَتُغَبَّطُونَ الآنَ عَنْ اسْتِحْقَاقٍ**».

عَلَى أَسَاسِ جَوْقِ الرُّسُلِ القِدِّيسِينَ، المُخْتَارِينَ مِنْ مُخَلِّصِنَا الْمَسِيحِ، قَدْ بُنِيَتْ – **مِنْ جِهَةٍ** – فِي الْعَالَمِ، الْكَنِيسَةُ الأَرْضِيَّةُ، وَالَّتِي مُوَاطِنُوهَا وَرَعَايَاهَا هُمُ الْمَسِيحِيُّونَ، الَّذِينَ هُمْ – بِحَسَبِ الرَّسُولِ بُولُس – «رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ» (أَفَسُس ٢: ١٩). وَبِحَسَبِ ذِيُوغْنِيتُوس، فَإِنَّ «**المَسِيحِيِّينَ يَحْيَوْنَ عَلَى الأَرْضِ، وَلَكِنْ سِيرَتَهُمْ فِي السَّمَاءِ**». وَمِنَ الْجِهَةِ الأُخْرَى، قَدْ أُظْهِرُوا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ سِيرَةَ الْكَنِيسَةِ، أَيْ طَرِيقَةَ حَيَاةِ التَّقْوَى، وَطَرِيقَةَ قِيَادَةِ دَفَّةِ الْكَنِيسَةِ، عَلَى أَسَاسِ النِّظَامِ الْمَجْمَعِيِّ، الَّذِي تَشَكَّلَ وَانْعَقَدَ مِنَ الرُّسُلِ فِي أُورُشَلِيمَ، بِحَسَبِ شَهَادَةِ كَاتِبِ سِفْرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ، الْقِدِّيسِ الإِنْجِيلِيِّ لُوقَا، الَّذِي يَقُولُ: «فَاجْتَمَعَ الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ لِيَنْظُرُوا فِي هذَا الأَمْرِ» (أَعْمَال ١٥: ٦).

وَعَدَا عَنْ هذَا، فَإِنَّ الرُّسُلَ قَدْ تَعَيَّنُوا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ خُلَفَاءَ لَهُ، كَمَا يُؤَكِّدُ هذَا الْبَارُّ بَاخُومِيُوسُ، قَائِلًا: «**إِنَّ كَلِمَةَ اللهِ، عِنْدَ صُعُودِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ، عَيَّنَ وَاخْتَارَ مُسْبَقًا الرُّسُلَ خُلَفَاءَ لَهُ**». وَإِنَّ أَهَمِّيَّةَ وَفَحْوَى الْخِلَافَةِ الرَّسُولِيَّةِ لِلْكَنِيسَةِ وَلِعَمَلِهَا الْخَلَاصِيِّ، يُصِيغُهَا بِدِقَّةٍ هِيبُولِيتُوسُ الرُّومَانِيُّ، قَائِلًا: «**إِنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ قَدْ أُعْطِيَ لَنَا فِي الْكَنِيسَةِ، فَقَدْ أَخَذَهُ أَوَّلًا الرُّسُلُ، وَالرُّسُلُ أَعْطَوْهُ لِلْمُؤْمِنِينَ حَقًّا، بِاسْتِقَامَةٍ، وَنَحْنُ صِرْنَا خُلَفَاءَ الرُّسُلِ، مُسَاهِمِينَ وَمُشَارِكِينَ فِي النِّعْمَةِ ذَاتِهَا، وَفِي رِئَاسَةِ الْكَهَنُوتِ، وَفِي التَّعْلِيمِ، وَلِهذَا نَعْتَبِرُ أَنْفُسَنَا حُرَّاسَ الْكَنِيسَةِ**».

حَقًّا، أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَحِبَّاء، إِنَّ الرُّسُلَ القِدِّيسِينَ هُمْ بِمَثَابَةِ حُرَّاسٍ لِلْكَنِيسَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الرَّسُولِيَّةَ هِيَ عُنْصُرٌ أَسَاسِيٌّ وَخَاصٌّ لِلْكَنِيسَةِ. وَلْنَسْمَعْ مَاذَا يَقُولُ الرَّسُولُ لُوقَا فِي سِفْرِ أَعْمَالِ الرُّسُلِ: «وَإِذْ كَانُوا يَجْتَازُونَ فِي الْمُدُنِ، كَانُوا يُسَلِّمُونَهُمُ الْقَضَايَا الَّتِي حَكَمَ بِهَا الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ الَّذِينَ فِي أُورُشَلِيمَ، لِيَحْفَظُوهَا» (أَعْمَال ١٦: ٤). وَلِلتَّوْضِيحِ

أَكْثَرَ: فَإِنَّهُ عِنْدَمَا كَانَ الرُّسُلُ يَسِيرُونَ وَيَجْتَازُونَ فِي الْمُدُنِ، كَانُوا يُسَلِّمُونَ التَّعَالِيمَ شَفَهِيًّا لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ فِي تِلْكَ الْمُدُنِ، لِكَيْ يَحْفَظُوا الْقَرَارَاتِ وَالأَوَامِرَ الَّتِي حَكَمَ فِيهَا الرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ فِي أُورُشَلِيمَ، بِشَكْلٍ قَاطِعٍ.

وَمِنَ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ، مَا أَوْصَى بِهِ الرَّسُولُ بُولُسُ تِلْمِيذَهُ تِيمُوثَاوُسَ فِي هذَا الصَّدَدِ، قَائِلًا لَهُ: «يَا تِيمُوثَاوُسُ، احْفَظِ الْوَدِيعَةَ، مُعْرِضًا عَنِ الْكَلاَمِ الْبَاطِلِ الدَّنِسِ، وَمُخَالَفَاتِ الْعِلْمِ الْكَاذِبِ الاسْمِ، الَّذِي إِذْ تَظَاهَرَ بِهِ قَوْمٌ، زَاغُوا مِنْ جِهَةِ الإِيمَانِ» (١تي ٦: ٢٠-٢١)، وَقَالَ أَيْضًا: «احْفَظِ الْوَدِيعَةَ الصَّالِحَةَ، بِالرُّوحِ الْقُدُسِ السَّاكِنِ فِينَا» (٢تي ١: ١٤).

إِنَّ آبَاءَ الْكَنِيسَةِ الْقِدِّيسِينَ، الْمُجْتَمِعِينَ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ، قَدْ بَرَعُوا فِي صِيَاغَةِ رَسُولِيَّةِ الْكَنِيسَةِ فِي دُسْتُورِ الإِيمَانِ، وَأَذَاعُوا بِأَبْلَغِ بَيَانٍ، قَائِلِينَ: «أُؤْمِنُ بِإِلَهٍ وَاحِدٍ، آبٍ ضَابِطِ الْكُلِّ... وَبِكَنِيسَةٍ وَاحِدَةٍ، جَامِعَةٍ، مُقَدَّسَةٍ، رَسُولِيَّةٍ»، وَذَلِكَ لأَنَّ الرُّسُلَ الْقِدِّيسِينَ هُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَافُوا الْمُدُنَ، وَسَامُوا أَسَاقِفَةً وَكَهَنَةً، «لِيَرْعَوْا كَنِيسَةَ اللهِ» (أَعْمَال ٢٠: ٢٨).

فَهَا قَدِ اتَّضَحَ لَنَا لِمَاذَا يَدْعُو الْقِدِّيسُ غِرِيغُورِيُوس بَالاَمَاس الرُّسُلَ بِأَنَّهُمْ **رُؤَسَاءُ رُعَاةٍ وَمُعَمَّارِيُّ التَّقْوَى الْعَامَّةِ، وَفَضِيلَةُ الْجَمِيعِ**. وَهَا أَيْضًا لِمَاذَا يُشَكِّلُ **الانْشِقَاقُ** فِي جَسَدِ الْكَنِيسَةِ الْوَاحِدَةِ الْجَامِعَةِ الْمُقَدَّسَةِ خَطِيئَةً كَبِيرَةً، وَلِذَلِكَ لأَنَّهُ يَنْتُجُ عَنْهُ زَعْزَعَةُ الْخِلاَفَةِ الرَّسُولِيَّةِ وَاضْطِرَابُهَا، لأَنَّ الْحَامِلِينَ الْحَقِيقِيِّينَ لِلْخِلاَفَةِ هُمُ الأَسَاقِفَةُ الْقَانُونِيُّونَ، الْمُشْتَرِطَنُونَ فِي الْكَنَائِسِ الْمَحَلِّيَّةِ.

فَنَحْنُ، أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَحِبَّاء، نُكَرِّسُ التِّذْكَارَ الْمُوَقَّرَ لِلرُّسُلِ الْقِدِّيسِينَ الْمَجِيدِينَ، وَنَهْتِفُ مَعَ الْمُرَنِّمِ، قَائِلِينَ: «**أَيُّهَا الْمُخَلِّصُ الصَّالِحُ، الْعَطُوفُ، وَالْمُحِبُّ لِطَبِيعَةِ جِنْسِ الْبَشَرِ، بِالتَّوَسُّلاَتِ الإِلَهِيَّةِ مِنْ أُمِّكَ الْعَذْرَاءِ، وَبِتَضَرُّعَاتِ الرَّسُولَيْنِ بُطْرُسَ وَبُولُسَ، وَالاثْنَيْ عَشَرَ رَسُولًا، أَرْسِلْ إِلَيْنَا رَحْمَتَكَ وَمَعُونَتَكَ مِنَ السَّمَاءِ**». آمِين.

كل عام وأنتم بخير

مَعَ أَدْعِيَتِنَا وَبَرَكَاتِنَا الأُبَوِيَّةِ

البطريرك ثيوفيلوس الثالث

بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

انطباع الصورة الالهيّة في نفوسنا

القديس كيرللس الإسكندري

الصِّفَةُ **الإِلَهِيَّةُ** تُطْبَعُ فِينَا، وَبِذَلِكَ تُشَكَّلُ طَرِيقَةُ حَيَاتِنَا بِمُمَارَسَتِنَا لِلصَّلاَحِ. فَالصَّلاَحُ فَائِقٌ، بِحَسَبِ مَا يَلِيقُ بِجَوْهَرِ اللهِ، وَمَعَ ذَلِكَ، فَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَصِيرَ صَالِحِينَ بِالاقْتِدَاءِ بِهِ، وَذَلِكَ بِفَضْلِ طَرِيقَةِ حَيَاتِنَا، بِشَرْطِ أَنْ نَخْتَارَ بِاشْتِيَاقٍ وَبِامْتِدَادٍ لِلأَمَامِ، كُلَّ مَا يَسْتَحِقُّ الاقْتِدَاءَ بِهِ. وَلأَنَّنَا نَتَمَتَّعُ بِذِهْنٍ صَافٍ وَرُؤْيَةٍ صَائِبَةٍ، **فَلاَ يُمْكِنُ أَنْ نَدَّعِيَ** أَنَّهُ لِكَيْ تَنْطَبِعَ **الْحَيَاةُ الإِلَهِيَّةُ** فِي نُفُوسِنَا، لاَ بُدَّ أَنْ نَكُونَ مُشَاهِمِينَ للهِ فِي الْجَوْهَرِ! فَهذِهِ الْمُشَابَهَةُ تَقُودُنَا إِلَى أَنْ نَصِيرَ مُسَاوِينَ لَهُ فِي كُلِّ صِفَاتِهِ، **حَاشَا!** لأَنَّ ذَلِكَ سَيَقُودُنَا إِلَى أَنْ نُعْطِيَ ذَوَاتَنَا نَفْسَ الْمَقَامِ الإِلَهِيِّ، بِدُونِ أَيِّ اخْتِلاَفٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّنَا خُلِقْنَا عَلَى صُورَتِهِ كَشَبَهِهِ!

وَهَكَذَا يَجِبُ التَّنْوِيهُ بِأَنَّهُ، رَغْمَ أَنَّنَا خُلِقْنَا عَلَى صُورَتِهِ وَمِثَالِهِ، إِلَّا أَنَّ الْفَارِقَ بَيْنَ **اللهِ وَالإِنْسَانِ** فَارِقٌ شَاسِعٌ. **فَاللهُ** بَسِيطٌ فِي طَبِيعَتِهِ، غَيْرُ مُرَكَّبٍ، بَيْنَمَا نَحْنُ **نَمْلِكُ طَبِيعَةً مُرَكَّبَةً**، إِذْ إِنَّ طَبِيعَتَنَا الْبَشَرِيَّةَ مُكَوَّنَةٌ مِنْ أَجْزَاءٍ مُتَعَدِّدَةٍ. وَنَحْنُ مِنَ التُّرَابِ فِيمَا يَخُصُّ الْجَسَدَ، وَهَذَا يَعْنِي **أَنَّنَا مُعَرَّضُونَ لِلْفَسَادِ وَالزَّوَالِ**، مِثْلَ الأَعْشَابِ. بَيْنَمَا **اللهُ** فَوْقَ كُلِّ ذَلِكَ. وَالنَّفْسُ الإِنْسَانِيَّةُ عُرْضَةٌ لِتَقَلُّبَاتٍ كَثِيرَةٍ، مِنَ الصَّالِحِ إِلَى الطَّالِحِ، وَمِنَ الطَّالِحِ إِلَى الصَّالِحِ. وَلَكِنَّ اللهَ هُوَ هُوَ دَائِمًا، صَالِحٌ إِلَى الأَبَدِ، لاَ يَتَحَوَّلُ وَلاَ يَتَغَيَّرُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ. وَعَدَمُ تَغَيُّرِ اللهِ لَيْسَ صِفَةً عَرَضِيَّةً، بَلْ يَرْجِعُ **إِلَى جَوْهَرِهِ**. وَهَكَذَا، أَصْبَحَ مِنَ الْوَاضِحِ، أَنَّ الْبَشَرَ الَّذِينَ أَتَوْا إِلَى الْوُجُودِ مِنَ الْعَدَمِ، لاَ يَتَشَابَهُونَ **مَعَ اللهِ حَسَبَ الطَّبِيعَةِ**، بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَتَشَابَهُوا مَعَهُ فِي نَوْعِيَّةِ الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةِ، وَالسُّلُوكِ الْمُسْتَقِيمِ.

لأَنَّهُ، رَغْمَ سُقُوطِنَا، إِلَّا أَنَّهُ لاَ نَحْنُ، وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ سَقَطُوا، قَدِ انْحَرَفْنَا كُلِّيَّةً عَنْ طَبِيعَتِنَا، **وَلَمْ نَنْحَدِرْ إِلَى الْعَدَمِ الْكُلِّيِّ**، رَغْمَ عَدَمِ اقْتِنَائِنَا لِلْفَضِيلَةِ. وَلَقَدْ فَقَدْنَا الْقُدْرَةَ عَلَى الْمَعْرِفَةِ الصَّحِيحَةِ وَفَنِّ الْحَيَاةِ، وَذَلِكَ **بِسَبَبِ مَيْلِنَا إِلَى الشَّرِّ**. وَلَكِنَّ **الْمَسِيحَ** جَاءَ وَدَعَانَا إِلَى أَنْ نَتَشَكَّلَ مِنْ جَدِيدٍ، حَسَبَ الصُّورَةِ الأُولَى بِكُلِّ بَهَائِهَا. وَلاَ نَقُولُ أَبَدًا إِنَّ الْوُصُولَ إِلَى هذَا الْمَجْدِ يَعْنِي أَنَّ الطَّبِيعَةَ الْبَشَرِيَّةَ تَصِيرُ طَبِيعَةً أُخْرَى! وَلَكِنَّ الأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِاخْتِيَارِ الإِرَادَةِ، فِي أَنْ يَتَغَيَّرَ الإِنْسَانُ مِنْ **حَيَاةٍ شِرِّيرَةٍ**، إِلَى **حَيَاةٍ مُقَدَّسَةٍ**، فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ.

فَإِنَّ صِفَاتِ اللهِ تُضِيءُ فِي صُورَتِنَا، لأَنَّنَا اخْتَرْنَا بِمِلْءِ حُرِّيَّتِنَا أَنْ نَسِيرَ **فِي الصَّلاَحِ**، وَلَكِنَّنَا... **لَسْنَا** وَاحِدًا **مَعَ اللهِ فِي الْجَوْهَرِ**، لأَنَّهُ، لَوْ صَحَّ ذَلِكَ، كَمَا يَدَّعُونَ، فَمَا الَّذِي يَمْنَعُنَا أَيْضًا أَنْ نَكُونَ مِنْ نَفْسِ طَبِيعَةِ خَالِقِنَا؟!

الرَّسُولَانِ بُطْرُسُ وَبُولُسُ

ΟΡΘΟΔΟΞΙΑ ΠΟΛΙΤΙΣΜΟΣ ΕΠΙΣΤΗΜΕΣ
ΠΕΜΠΤΟΥΣΙΑ

تُرجِمَ من موقع

Πηγή: www.apostoliki-diakonia.gr

الرَّسُولُ بُطْرُسُ:

كان هذا الرَّسولُ الجليلُ من رُسُلِ المسيح **يَهُودِيًّا**، وكان يُدعَى **سِمْعَان**. وُلِدَ في مدينةٍ صغيرةٍ ومجهولة تُدعى **بَيْتَ صَيْدَا**، وكان اسمُ والده **يُونَا**. عاش في فقرٍ لا يُوصَف، وفي حرمانٍ شديد، لكنَّه نشأ في بيئةٍ تملؤُها التَّقوى، إذ كان والداه من القلائل الأتقياء المؤمنين من اليهود في زمانهم، الذين كانوا ينتظرون بشوقٍ مجيءَ المَسِيَّا وزمنَه المَسِيَّانِيّ، الذي فيه ستنتهي شقاءات البشريَّة وتعاسَتُها. وقد نقلوا هذا الإيمان وهذه التَّقوى إلى أولادهم. لم يتعلَّم من العلم إلَّا القليل، ومن الظاهر أنَّه كان يعرف القراءة والكتابة فقط. **وكان أخوه هو أندراوس، أَوَّلُ مَن دعاه الرَّبّ.**

بعد وفاةِ والدِه، تزوَّج **بُطْرُسُ** من ابنةِ أريستوبولُس، ابنةِ أُختِ **الرَّسولِ بَرْنَابَا**، على خلافِ **أندراوسَ**، الذي لم يتزوَّج قطُّ. ورُزِقَ طفلَين، صبيًّا وبنتًا، نجهلُ اسميهما. كما لا نعرف أيضًا اسمَ زوجتِه. استقرَّ في بيتِ حَمِيهِ في كَفْرِ نَاحُوم، وكان يمارسُ مهنةَ الصيدِ مع أخيه **أندراوس**، في بُحيرةِ جِنِّيسَارَت المجاورة.

بعد اعتقالِ **يُوحَنَّا المَعْمَدَان**، مضى **الرَّبُّ** إلى نواحي الجليل، إلى المناطق المحيطة بتلك البحيرةِ الساحرة، لكي يُبَشِّرَ بإنجيلِ خلاصِ العالَم. وهناك التقى بمعظمِ تلاميذه، وكانوا صيَّادينَ في مهنتِهم، فدَعاهُم لكي يصيروا من تلك اللحظة فصاعدًا «صيَّادي النَّاس» (متّى ٤: ٢٠)، شركاءَه في عملِ خلاصِ البشريَّة.

إنَّ **بُطْرُسَ** المُتحمِّسَ والتَّقيَّ كان من أوائلِ الذين ألقَوا شباكَهم وتَبِعوا **الرَّبَّ** بأمانة. وبفضلِ شخصيَّته القويَّة وتفانيه الخاصّ نحو **الرَّبّ**، استحقَّ أن ينالَ الأسبقيَّة بين الرُّسُلِ الآخرين، وأن يتكلَّم غالبًا باسمِهم. وهو أَوَّلُ مَن اعترفَ بأنَّ **المسيحَ** هو: «ابنُ اللهِ الحَيّ» (متّى ١٦: ١٧). وقد ثَمَّنَ **الرَّبُّ** هذا الإقرار، وأكَّدَ له أنَّه على هذا **الاعترافِ الإيمانيّ** «سأَبْنِي كَنِيسَتِي» (متّى ١٦: ١٨).

تبع **بُطْرُسُ المسيحَ** بأمانةٍ طوالَ خدمته العلنيَّة التي دامت ثلاثَ سنوات. وعند لحظةِ القبضِ عليه، تصرَّفَ بعنفٍ. كما تبعه أيضًا بقلقٍ عميقٍ وحزنٍ إلى **المحكمةِ المُدَنَّسَةِ** التي أقامها **الكهنوتُ اليهودي**، رغمَ أنَّه، في لحظةِ ضعفٍ وخوف، **أنكره بكلماتٍ فقط**، ولكنَّه ندم على ذلك ندمًا مُرًّا، وكان يبكي على زلَّته طوالَ حياته (متّى ٢٦: ٧٥).

نالَ **بُطْرُسُ** النِّعمةَ أن يكون من أوائلِ الذين عاينوا القبرَ الفارغَ، وتثبَّتَ من قيامةِ **المسيح**. وقد غيَّرَه هذا الحدثُ المزلزلُ تغييرًا جذريًّا. فكان كرازتُه المشتعلةُ في يومِ الخمسين سببًا في إيمانِ ثلاثةِ آلافِ نفسٍ، نالوا المعموديَّة، وبذلك تأسَّست الكنيسةُ الأرضيَّةُ التاريخيَّةُ **للمسيح**.

كانت حياةُ **بُطْرُسَ** ونشاطُه بعد ذلك مملوءَيْن بالعَجَب. فقد كَرَزَ بحماسٍ وشجاعةٍ في أرضِ فلسطين، وأسَّسَ الكنيسةَ هناك على ثبات. كما أجرى أيضًا معجزاتٍ من أجلِ مجدِ **المسيح**. وبسببِ كلِّ هذا النشاط، **اضطُهِدَ بقسوةٍ على يدِ أبناءِ قومِه**. ثمَّ ذهبَ إلى أنطاكية، حيث أسَّسَ الكنيسةَ المحليَّةَ هناك، وهي من أبرزِ الجماعاتِ المسيحيَّةِ الأولى. وبعدها قام بجولاتٍ رسوليَّة في غلاطية، وكَبَّادُوكيا، وبيثينيَّة، وبُنْطُس، واليونان. وهناك معلوماتٌ تُفيد بأنَّه أقامَ وقتًا طويلًا في كورنثوس، حيث كان يُبَشِّر ويُرشد.

لا توجد في تقليدنا الأرثوذكسيّ معلوماتٌ مُؤكَّدةٌ عن نهاية هذا الرَّسولِ العظيم. فبعضُهم يرى أنَّه، وقد شاخَ وتعب، نالَ ميتةً استشهاديَّةً في أنطاكية.

لكنْ، توجد أيضًا روايةُ الكنيسةِ الكاثوليكيَّة الرومانيَّة عن انتقالِ بُطْرُس إلى رومية، وهي روايةٌ **يشكِّك فيها عددٌ كبيرٌ من اللاهوتيّين الأرثوذكس**، لأنَّها ترتكز على نصوصٍ منحولةٍ ومتأخّرة، تُدعى «**التَّشريعات الإيسيدوريَّة الكاذبة**»، والتي **اخترعها البابويُّون لكي يُبرِّروا بها امتلاكَ بابا رومية للسلطة الأولى على الكنيسة بأسرها.** (انظر ص ٦)

بحسب هذه الرواية، انتهى المطاف ببُطْرُس في العاصمةِ الضَّخمة للإمبراطوريَّة الرومانيَّة الشاسعة، أي في رومية، حيث أسَّس الكنيسةَ المحليَّة هناك، وصار أَوَّلَ أسقفٍ لها. وكان يُبشِّر ليلَ نهارٍ في تلك المدينةِ العظيمة، ونجح في أن يهدي جمعًا غفيرًا من سكّانها إلى المسيحيَّة. وفي الفترة نفسها، كان يقيم في رومية أيضًا **الساحرُ الشَّهيرُ سِيمُون**، المعروف من سفر أعمال الرُّسل (الإصحاح ٨: ٩)، الذي كان يُدهِش الجموعَ بما يقوم به من خِدَعٍ وأعمالِ سحر، ممّا جعله يكتسب عددًا

كبيرًا من الأتباع. لكنَّه وجد نفسَه أمام رَجلِ الله الحقيقيّ، **الرَّسول بُطْرُس**، الذي بفضل سلسلةٍ من المعجزات، كشف زيفَ هذا الساحر، وأظهره شريكًا للشياطين، وأعلن قوّةَ اللهِ الحقيقيِّ التي لا تُقهَر.

في تلك الأيّام، كان يحكم في رومية **الإمبراطورُ نيرون، ذاك الطاغيةُ المجنون**، وهو من أكثر الحكّامِ كراهيةً وتعطُّشًا للدَّم في التاريخ. ولكي يتملَّص من مسؤوليَّتِهِ عن جريمةِ إحراقِ رومية، ألصق التُّهمة بالمسيحيِّين. ولكي يجعل روايتَه مقبولة، أعلن اضطهادًا عنيفًا ضدَّ الإيمان الجديد. فاعتُقِلَ الآلاف من المسيحيِّين، وسِيقوا إلى عذاباتٍ مروّعةٍ وإلى الموت.

كان **بُطْرُسُ**، أحدَ أبرزِ أعضاء الكنيسة المقيمة في رومية، الهدفَ الرئيسيَّ للذين اضطهدوا المسيحيين، ولذلك رأى أنَّه من الحكمة أن يغادر المدينةَ خفيةً لينجو بنفسه. وبينما كان يسير مُسرعًا على الطريقِ الشَّهيرة «**أبّيا**»، ظهر له **الرَّبُّ** وسأله: «**Quo Vadis؟**» أي: «**إلى أين تذهب؟**». عندئذٍ أدركَ الرَّسولُ المُلتهبُ غيرةً أنَّ هروبه هذا **يُعادل إنكارًا جديدًا للمسيح**، فرجع باكيًا، وسُلِّم للسلطات، فاعتقلوه وحُكِم عليه بالموت صلبًا. وعندما اقتيد إلى العذاب، توسَّل إلى جَلّاديه أن يصلبوه مقلوبًا، رأسُه إلى أسفل، لأنَّه لم يَعتبر نفسه أهلًا أن يُصلب كما صُلِبَ **سيِّدُه ومعلِّمُه الإلهي**. وهكذا أسلم رُوحَه الطاهرة **للمسيح**، وجمع المؤمنون جسدَه المُقدَّس ودفنوه خارج أسوار المدينة. **وتُعيِّدُ لهُ الكنيسةُ في ذِكرَاهُ الجليلةِ في التاسِعِ والعِشرينَ مِن حَزِيران، مع الرَّسُولِ العَظِيمِ بُولُس.**

كتب **الرَّسولُ بُطْرُس** رسالتَين كاثوليكيَّتين (جامعة). كانت الأولى موجَّهةً إلى المسيحيِّين المقيمين في بُنْطُس، وغَلاطِيَّة، وكَبَّادُوكِيَا، وآسيا، وبيثينيَّة، أمّا الثانية فإلى جميع المسيحيِّين عامَّةً. ومن خلال هاتين الرِّسالتين، يسعى **بُطْرُس** إلى أن يثبِّت المؤمنين في الضيقاتِ التي يُقاسونَها من أجل إيمانِهم **بيسوعَ المسيح**.

الرَّسُولُ بُولُسُ:

لم يكن **الرَّسُولُ العظيمُ بُولُس**، رسولُ الأمم، من **عدادِ الاثني عشر رسولًا**. فهو لم يَعرف **الرَّبَّ** في حياته على الأرض، بل أُعلِنَ له بعد ذلك، ودُعِيَ ليصير رسولَه، رغم أنَّه كان في الأصل **عدوًّا للكنيسة ومُضطهِدًا لها**.

لقد لقَّبَت **كنيستُنا الرَّسُولَ بولس** بلقب: «**الأوَّل بعد الواحد**»، أي أعظم إنسان على الأرض بعد **المسيح**، و«**الإناء المختار الكريم للمسيح**». وهذا عن حقّ، لأنَّ هذا الرَّسولَ الجليل قد قدَّم للكنيسةِ خدماتٍ لا تُقدَّر بثمنٍ على مدى تاريخها! فهو المؤسِّس الحقيقيّ لها بين الأمم، حتّى أقاصي المسكونة!

نستقي معلوماتِنا عن حياةِ الرَّسُولِ العظيمِ وأعمالِه من سفرِ «أعمال الرُّسل»، ومن رسائلِه، وكذلك من شهاداتٍ قديمةٍ جدًّا خارجةٍ عن الكتابِ المقدَّس. نذكرُ على سبيل المثال المقاطع التالية:

أعمال ٩: ١–٢٩، ٢٢: ٣–٢١، ٢٦: ٩–٢٠، غلاطية ١: ١٣–٢٤، ١ كورنثوس ١٥: ٨، أفسس ٣: ٨، فيلبي ٣: ١٢، وغيرها. ويَرِد وصفُ خدمته التبشيريَّة في الإصحاحات من ١٣ إلى ٢٨ من سفر «أعمال الرسل».

وُلِدَ حوالي سنة ١٥ ميلاديّة في مدينةِ طَرسُوس الكيليكيَّة، من والدَين يهوديَّين ينتميان إلى سبطِ بنيامين. كان اسمُه شاول، وكان يحمل أيضًا الاسمَ الرومانيَّ بولُس. وقد قدَّم والداه الميسوران لابنهما المُحبّ للمعرفة تربيةً راقية. **كما أثَّرَ الجوُّ الثقافيُّ الهلِّنيستيُّ المرموقُ في طَرسُوس تأثيرًا إيجابيًّا في تكوين شخصيَّته.** وكان كلٌّ من والده وبولس ينتمي إلى **فِرقةِ الفَرِّيسيِّين**، وهذا يعني أنَّه منذ صغره ربّى في نفسه القلقةِ غيرةً وحرارةً عميقة لإيمانه.

حوالي سنة ٣٤ ميلاديّة، وُجِدَ بولُس في أُورُشَلِيم، يتابع دراستَه على يدِ المعلِّم الشهير في الشريعة غَمَالِيئِيل (أع ٢٢: ٣). وقد أبدى التلميذُ الفَرِّيسيُّ الشابّ غيرةً خاصَّة في سبيلِ الحفاظِ على دياتِه. فنراه يشارك في رجمِ أوَّلِ الشهداء، **إستفانوس** (أع ٧: ٥٤)، ثم نراه بعد وقتٍ قصير مضطهِدًا متعصِّبًا للمسيحيِّين. ويقول النصُّ المقدَّس: «وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ، وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجُرُّ رِجَالًا وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ.» (أع ٨: ٣). وبسببِ غيرته الزائدة وبُغضِه الشديد للمؤمنين **بالرَّبِّ يسوع**، طلب من **رئيسِ الكهنة** أن يُعيِّنَه على رأسِ فرقةٍ تتوجَّه إلى دمشق، لكي يُعاقِبَ على نحوٍ صارم اليهودَ الذين صاروا مسيحيِّين هناك، ويقتادهم مُقيَّدين إلى أُورُشَلِيم (أع ٩: ١).

لكنْ، وأثناء الطريق، حدثت المعجزةُ العُظمى. فقد أبصرَ بولُسُ المُضطهِد نورًا ساطعًا أعمى بصرَه وطرحه عن ظَهرِ الجواد (الحصان). وفي اللحظةِ نفسِها سمع صوتًا يقول له: «شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟» (أع ٩: ٤). قال: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟» فأجابه الصوت: «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ». فَقَالَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحَيِّرٌ: «يَا رَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟» فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قُمْ وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيُقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ» (أع ٩: ٤–٦). لقد زلزل هذا الحدثُ المروِّع **كيانَ بولُس بالكامل**، فتاب، ودخل المدينةَ حيث التقى بحنانيّا، رئيسِ كنيسة دمشق، الذي شفاه من العمى، وعلَّمه الإيمان، وعمَّده. ويُرجَّح أنَّ هذا الحدثَ تمَّ في حدود سنة ٣٦ ميلاديّة.

منذ تلك اللحظة، كرَّسَ بولُسُ نفسَه لخدمة الكنيسة. وبعد إعدادٍ روحيٍّ دقيق، تسلَّم مهمَّة تبشير الأمم، أي غير اليهود. وبمرافقة معاونين أكفّاء، كَ برنابا ومَرْقُس (إلى حدٍّ ما)، بدأ بولُسُ في سنة ٤٨ ميلاديّة رحلتَه الرسوليَّة الكبرى الأولى، والتي ورد وصفُها بالتفصيل في الإصحاحين ١٣ و١٤ من سفر «أعمال الرسل». وكانت محطَّتهم الأولى مدينةَ سالامينا، ثم بافُوس في قبرص، حيث بشَّروا وأسَّسُوا كنائس. بعد ذلك، عبروا إلى آسيا الصغرى، وجالوا في مدن: بَرْغَة بمُنْطِقة بمفيلية، وإنطاكية بسيدية، وأيقونية، ولُسْطْرة، ودَرْبَة، وغيرها. ورغم الصعوبات الكثيرة والاضطهادات التي واجهوها، فإنَّ كرازتَهم أحرزت نجاحًا كبيرًا، فأسَّسُوا كنائسَ محليَّة في جميع هذه المدن. ومن خلال مدينة أتالية، عادوا إلى إنطاكية، حيثُ «لَمَّا حَضَرَا وَجَمَعَا الْكَنِيسَةَ، أَخْبَرَا بِكُلِّ مَا صَنَعَ اللهُ مَعَهُمَا، وَأَنَّهُ فَتَحَ لِلأُمَمِ بَابَ الإِيمَانِ.» (أعمال ١٤: ٢٧).

شارك بولُسُ بعد ذلك في مجمعِ أورشليم سنة ٤٨ ميلاديّة، وهو المجمعُ الذي عالج مسائل خطيرة تتعلَّق بالرسالة التبشيريَّة (أعمال

الرسل – الإصحاح ١٥). وقد أدّى **بولُسُ** فيه دورًا حاسمًا، إذ تمكّن من إقناع الحاضرين بأنَّ دورَ اليهوديَّة قد انتهى، وأنَّ نعمةَ الله تُعطى لكلِّ إنسانٍ يتّحد **بالمسيح**.

بعد ذلك، انطلق **بولُسُ** برفقة معاونه **سيلا** في رحلتِه الرسوليَّة الثانية، التي ورد وصفُها في الإصحاحات ١٦ و١٧ و١٨ من سفر «أعمال الرسل». ومن خلال سوريّا وكيليكيَّة جالوا في مدن آسيا مثل دَرْبَة ولُسْطرة، وهناك التقى بالشابِّ التقيّ والمتحمّس **تيموثاوس**، فاصطحبَه معه. ثم عبروا فريجيَّة، وغَلاطِيَّة، وبلغوا مِيسِيَّة، ثم تَرَوَاس. وبعد رؤيا رآها، عبَروا إلى مَكدُونيَّة، حيث أسَّسُوا كنائسَ في فِيلِبِّي، وتِسالُونِيكِي، وبِيرِيَّة، وأثينا، وكُورنثُوس، حيث أقام **بولس** نحو سنةٍ ونصف في بيت **أكيلا وبريسكيلا**. ومع ختام الرحلة الثانية، وصل **بولُسُ** إلى أفسُس، ومنها عبر قَيسَرِيَّة (قيصَرِيَّة) إلى أُورُشَلِيم، ثم عاد إلى إنطاكية ليستريح.

ما لبث **بولُسُ** أن باشر رحلتَه الرسوليَّة الثالثة، التي ورد وصفُها في الإصحاحين ١٩ و٢٠ من سفر «أعمال الرسل». فزارَ غَلاطِيَّة وفريجيَّة، واستقرَّ في أفسُس، حيث أقامَ ثلاثَ سنوات يعلِّم ويثبّت كنيسةَ هذه المدينة الآسيويَّة العظيمة. بعد ذلك، قصدَ تَرَوَاس، وعبر من جديد إلى فِيلِبِّي، ثم تِسالونيكي، فَبِيرِيَّة، وربّما إلى إيبيرُوس، وأنهى رحلتَه في كُورنثُوس، حيث مكثَ ثلاثة أشهر.

ومن خلال تَرَوَاس، وميليتُس، وقَيْصَرِيَّة، وصل **بولُسُ** من جديد إلى أُورُشَلِيم. وهناك، أُلقِيَ القبضُ عليه بصفته مُثيرًا للشغب، وأُحيل إلى المحاكمة (أع٢١). وبما أنَّه كان مواطنًا رومانيًّا (رومية ١١:١)، طالب بأن تُجرى محاكمتُه أمام **المحكمة الإمبراطوريَّة في رومية**. ولهذا السبب، أُرسل مقيَّدًا بحرًا إلى عاصمة الإمبراطوريَّة. غير أنَّ السَّفينة تحطَّمت بالقرب من جزيرة مِيلِيتِي، فنجا الجميع إلى اليابسة، وهناك بَشَّرَ وأَسَّسَ كنيسةً أيضًا. وأخيرًا، وصل إلى رومية، وبعد سنتين من الإقامة تحت رقابة معتدلة، جرت محاكمتُه وأُطلِق سراحُه (أعمال ٢٧ و٢٨). وبهذا ينتهي سفر «أعمال الرسل» المقدَّس.

أبحر **بولُسُ** من رومية إلى كريت، حيث عيَّن معاونه **الأمين المختار تيطُس أسقفًا عليها**، ثم صعد إلى كُورنثُوس ومقدونِيَّة، ويُرجَّح أنَّه زار نِيكُوبُولِيس في إيبِيرُوس في خريف سنة ٦٦ ميلاديّة، حيث قضى الشتاء هناك (تيطُس ٣: ١٢). ثم عبر إلى آسيا، وترك هناك مرافقَه المحبوب **تيموثاوس** بعد أن أقامه أسقفًا على أفسُس. وقد انتهت رحلتُه الرسوليَّة الرابعة والأخيرة في الغرب، حيث بلغ، بحسب شهادة **القدّيس كليمِنس** الروماني، أقاصي الغرب، أي إسبانيا. وبعد أن أنهكته المتاعب الجسديَّة، عاد إلى رومية، وهو شاعرٌ بدنوّ نهايته، فكتب **لتيموثاوس** تلميذه الحبيب: «فَإِنِّي أَنَا الآنَ أُسْكَبُ سَكِيبًا، وَوَقْتُ انْحِلاَلِي قَدْ حَضَرَ» (٢ تيموثاوس ٤: ٦–٨).

كانت الاضطهادات التي أطلقها **الإمبراطور المجنون نيرون** ضدَّ المسيحيِّين في أوجِها، فصار **بولُسُ** الهدفَ الرئيسيَّ لجلّادي الوثنيّين. وهكذا، وفي حدود سنة ٦٧ ميلاديّة، أُلقيَ القبضُ عليه وقُطِعَ رأسُه، فخَتَمَ بهذه الشهادة الدامية خدمتَه الرسوليَّة الجبّارة.

ترك لنا هذا **الرَّسُولُ العظيم** أربعَ عشرةَ رسالة، تحتلُّ مكانةً هامَّة في قانون العهد الجديد. وهي: ١) إلى أهل رومية، ٢) إلى أهل كورنثوس الأولى، ٣) إلى أهل كورنثوس الثانية، ٤) إلى أهل غلاطية، ٥) إلى أهل أفسس، ٦) إلى أهل فيلبي، ٧) إلى أهل كولوسي، ٨) إلى أهل تسالونيكي الأولى، ٩) إلى أهل تسالونيكي الثانية، ١٠) إلى تيموثاوس الأولى، ١١) إلى تيموثاوس الثانية، ١٢) إلى تيطس، ١٣) إلى فيلمون، ١٤) إلى العبرانيين. **ويُعيَّد لذكراه الجليلة مع ذكرى الرَّسُول العظيم بُطْرُس في التاسع والعشرين من حزيران حسب التقويم الشرقي، الواقع في ١٢ تموز حسب التقويم الغربي.**

ما هي «التَّشريعات الإيسيدوريَّة الكاذبة»؟

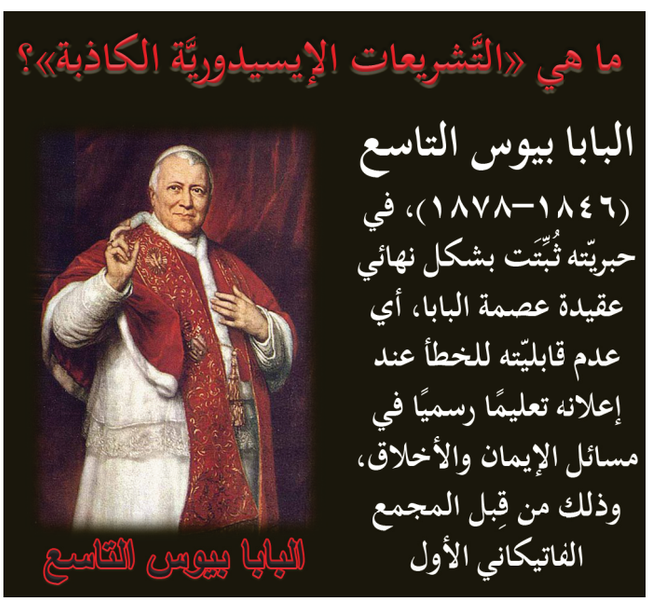

هي مجموعة من الوثائق المزيَّفة التي ظهرت في **الغرب اللاتيني**، خاصة في القرن التاسع الميلادي، وتُعرف تاريخيًا باسم: **القرارات الإيسيدوريّة المنحولة**. ***Pseudo-Isidorian Decretals***

أصل الاسم: نُسبت زورًا إلى شخص يُدعى **إيسيدوروس**، كأنه عاش في **القرن الثالث أو الرابع**. لكنّ الحقيقة أن هذه التشريعات كُتبت في الغرب في القرن التاسع .

محتواها: تحتوي على **رسائل بابويّة وقرارات مجمعيّة مُزيّفة**.**تهدف إلى:** ١) تعزيز سلطة **أسقف روما (البابا)** على حساب المجامع والأساقفة المحليّين. ٢) إظهار أنَّ **البابا** هو **المرجع الأعلى الذي لا يُخطئ**.

لماذا اعتُبرت كاذبة؟ لأن معظم ما فيها لم يكن موجودًا **قبل** القرن التاسع. تمّ تحليل أسلوبها وتواريخها وتبيّن أنها **مزيّفة تاريخيًا**. الكنيسة الأرثوذكسيّة والعديد من العلماء الغربيين فضحوها.

علاقتها باللاهوت الأرثوذكسي:

هذه الوثائق ساهمت في تكوين **عقائد السلطة البابويّة المطلقة وعصمة البابا**. لذلك، فإن رفض الكنيسة الأرثوذكسيّة لها ينسجم مع دفاعها عن التقليد المجمعي ورفض البدع السلطويّة المستحدثة.

ولهذا، عندما نقول في **سنكسار القديس بطرس (صفحة ٤)** أنه تصدّى لـ «**التشريعات الإيسيدوريّة الكاذبة**»، فنحن نُشير إلى: دفاعه عن المجامع الأرثوذكسيّة. **رفضه لكل ما يُنسب زورًا للرسل لإضفاء سلطة على بابا روما.**

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الجزء الرَّابع – الفصل الرابع – تتمة

وكان **القدّيس نكتاريوس** قد نشر قسمًا كبيرًا من الجزء الأوّل من هذا الكتاب «**تاريخ الانشقاق**» في صحيفة «**جمعيّة الإكليروس**» **التابعة لأبرشيّة أثينا**، سنة **١٨٩٥**. ثم نَشر الجزء الثاني على نفقته الخاصّة، بمساعدة نحو عشرةٍ من الأصدقاء. ونوردُ فيما يلي مقتطفًا من مقدّمة **القديس**:

«إنَّ ما دفعني إلى الكتابة عن انشقاق الكنيسة هو، في المقام الأوّل، **الرسائل البابويّة التي يوجّهها بابوات روما، القدّيسون والمغبوطون**، في كلّ مرّة، إلى كنيسة الشرق، داعين إيّاها إلى الاعتراف **برئاسة خليفة** الرسول بطرس، **ومطالبيننا بالوحدة معهم، بشرط الاعتراف بطاعة كاملة** لأوّليّة بطرس، تلك الأوّليّة التي **يزعمون** أنّها مؤسَّسة على العدالة الإلهيّة. أمّا الدافع الثاني، فهو احتقار كنيسة الشرق، وتشويه الحقيقة، وأخيرًا الإهانات العديدة التي يوجّهها **مناصرو البابا المتعصّبون** إلى الكنيسة الشرقيّة.»

« لقد دفعتني إلى هذا العمل رغبتي الصادقة في البحث عن الحقيقة التاريخيّة والدفاع عنها. وفي تقصّينا لهذه الحقيقة، عُدنا إلى المنابع التاريخيّة الأصليّة، وفحصناها بعناية وعمق، لكي نهتدي بنور التاريخ فنُظهِر بواعث الانشقاق، ونتبيّن حقوق الكنيستين المنفصلتين، فنُبدي بالتالي رأيًا في إمكانيّة اتحادهما من جديد.

أمّا الذين يتناولون هذا الموضوع **مؤيّدين أولويّة الباباوات**، فإنّهم ينطلقون من موقف عقائديٍّ مُسبَق، فيُلقون بمسؤوليّة الانشقاق على كنيسة الشرق، ويوجّهون إلى رؤسائها شتائم كثيرة، معتبرين إيّاهم المُسبِّبين الوحيدين للانشقاق. وهؤلاء الكُتّاب أنفسهم يلقون الحِرْمَ على أولئك الرجال القدّيسين، **قِمَم كنيستنا الروميّة الأرثوذكسيّة الجامعة الرسوليّة**، ويعتبرونهم المحرّضين الوحيدين على انشقاق كنيسة **المسيح**، والمسؤولين عن استمراره، إذ **يزعمون** أنّهم يُصِرّون عليه بدافع حبّ المجد، ودون أيّ احترام للعدالة والحقيقة التي يرفعها **البابويّون** شعارًا في خطاباتهم.

إنّ هذه **الخطابات الوقحة** تُعطي صورة مشوّهة عن كنيستنا المقدّسة ورعاتها، نتيجةً **لتحريف العدالة وتزوير الحقيقة**. وهذا ما يُحزن قلب كلّ أرثوذكسيٍّ تقيّ. نعم، إنّ أصل كلّ شيء هو **مسألة أولويّة البابا...**».

إنّ هذا الكتاب يُغني اللاهوت الأرثوذكسيّ غِنىً كبيرًا. **وما دام في الغرب بابوات، وما دامت أولويّتهم قائمة، وعقيدة «انبثاق الروح من الآب والابن» راسخة**، فإنّ هذا المؤلَّف النيّر، الصادق، الأمين، والنزيه، سيُعيد إلى **كلمة حقّ المسيح** مكانَها الصحيح.

الجزء الخامس

فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى وَأَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ». (تك ١٨:٢٧).

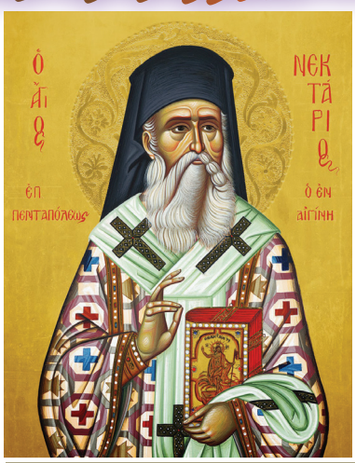

القديس نكتاريوس العجائبي

وَلَمَّا سَمِعَ سَنْبَلَّطُ أَنَّنَا آخِذُونَ فِي بِنَاءِ السُّورِ غَضِبَ وَاغْتَاظَ كَثِيرًا، وَهَزِأَ بِالْيَهُودِ. وَتَكَلَّمَ أَمَامَ إِخْوَتِهِ وَجَيْشِ السَّامِرَةِ وَقَالَ: «مَاذَا يَعْمَلُ الْيَهُودُ الضُّعَفَاءُ؟ هَلْ يَتْرُكُونَهُمْ؟ هَلْ يَذْبَحُونَ؟ هَلْ يُكْمِلُونَ فِي يَوْمٍ؟ هَلْ يُحْيُونَ الْحِجَارَةَ مِنْ كُوَمِ التُّرَابِ وَهِيَ مُحْرَقَةٌ؟» (نحميا ٤:١-٢).

لم تكن الصعوبات لتغيب أبدًا: كان لا بدّ من تأمين الماء، وتفتيت الصخور، وشقّ الطريق، وبناء دار صغيرة للضيافة خارج الدير، لكي يتمكّن **ساكوبولوس** من المجيء وقضاء عطلة نهاية الأسبوع فيها. كان هذا الشاب يمثّل الدير بأمانة في العالم، ويعجز عن الانفصال عنه. وقد تمكّن **كوستي**، لحسن الحظّ، من أن يجد له عملًا في **مصرف ليونيد إمبيريكوس، في ساحة القدّيسَين ثيوذوروس التيروني وثيوذوروس قائد الجيش، في أثينا**.

كثيرًا ما تكون الضائقة الماليّة سببًا لليأس والتعاسة. ومع ذلك، لم يتوقّف **توافد المبتدِئات إلى الدير**. ولم تكن جميعهنّ، بالطبع، على مثال **كريزنتيا الضريرة، صاحبة النفس المختارة والمُهيّأة**. بل كنّ من مختلف فئات المجتمع، وبينهنّ الفقيرات، والأميّات، والحالمات، والواقعيات.

وصارت هذه الصعوبات كلّها تُشكّل نسيج الحياة اليوميّة لذلك **الأسقف – الراهب الصبور**، الكاتب البحّاثة، والرجل المعتاد على مآسي الحياة. صعوباتٌ كانت كفيلة بأن تُنهك أيّ إنسان وتُثقل كاهله. لكنّها صارت نُسكه الذي ارتضاه فعلًا، وجهادًا متواضعًا، خَفِيًّا، وغير منظور. ولا شكّ في أنّ هذا **ما جعل العدوّ، سيّد الجحيم**، يزداد غيظًا تجاهه ويصرّ بأسنانه. فقد رأى في **نكتاريوس** لا مجرّد الوريث البغيض الذي سيأخذ مكانه في ملكوت السماوات، بل عاملًا أمينًا في كرم **الرَّبِّ**، يجتذب إليه آخرين أيضًا.

وقد **انتهز الشيطان** الفرصة المناسبة، فتوجّه إلى البلاط السماوي طالبًا إذْنًا **بتعذيب نكتاريوس**، دون شفقة، عن طريق المفاجأة والغمّ.

لكنّ **العدوّ القديم، الذي لا يعرف الرحمة**، يجهل ما للنفس البشريّة من قدرة على احتمال العذابات ومقاومة المكائد، وعلى احتمال ثِقل الصليب ومجابهة افتراءات الغدر. وإذ ينال الإذن من العرش المقدّس، ينقضّ على فريسته كحيوانٍ مفترس، وكطائرٍ جارح جائع، ويغرز براثنه (أظافره) في لحمها الطريّ **بلذّة شرّيرة**. ولكنّه، حين يفشل في محاولته التدميريّة الأولى، يتراجع إلى الظلّ مترقّبًا لحظة العودة، بطريقة أكثر وحشيّة، وبتدمير أشدّ ضراوة.

ملحوظة: **(المسيح يسند المؤمن)**:

«فَاخْضَعُوا للهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ.» (يع ٤: ٧).

القديس يوحنا لماذا دُعِيَ السابق وسيرته العجيبة

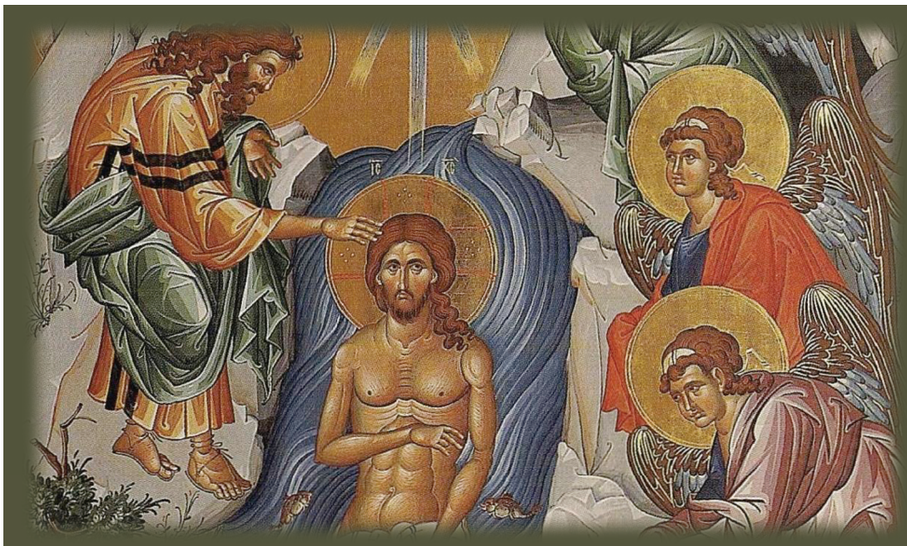

تُرجِمَ من موقع https://www.monastiriaka.gr/en/blog/saint-john-the-forerunner-why-he-was-called-precursor-and-baptist-the-admirable-life-of-the-saint

سيرة مختصرة للقديس يوحنّا السابق: وُلِد **يوحنا** من والدَين تَقِيَّين في **مدينة حبرون (الخليل)** أو في **يوطَّا**. وكان والده **زكريا** كاهنًا، وأمّه **أليصابات** نسيبة **والدة الإله (العذراء مريم)**. «وَهُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ، هِيَ أَيْضًا حَبِلَتِ بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا...» (لو ١: ٣٦)

ملحوظة: (يوطّا إو **يَطّا**)، وهي تقع جنوب مدينة الخليل في الضفّة الغربيّة – فلسطين. تُعدّ اليوم من أكبر بلدات محافظة الخليل، وما زالت تُعرف بالاسم نفسه تقريبًا (**يَطّا**)، ممّا يدلّ على الحفاظ على التسمية القديمة عبر العصور.

ماذا أعلن الملاك جبرائيل للكاهن زكريّا؟: في أحد الأيّام، وبينما كان زكريّا يُبَخِّر في الهيكل، ظهر له ملاكٌ من **عند الرَّبِّ**، وبشّره بأنّه سيرزق ابنًا، ويجب أن يُسمّيه **يوحنّا**. فرح زكريّا بالبُشرى، لكنّه شكّ في الأمر، لأنّ زوجته كانت متقدّمة في السنّ، ولم تَعُد قادرة على الحَمل.

فأجابه **ملاك الرَّبّ** على شكّه، مؤكّدًا أنّ الطفل سيُولَد حتمًا، وأنّ زكريّا سيُعاقَب على قلّة إيمانه، إذ سيبقى أخرس وأصمّ إلى أن يتمّ **قصد الله**.

ميلاد القديس يوحنّا: وبالفعل، حبلت أليصابات، وبعد تسعة أشهر ولدت ابنًا. وعند ختان الطفل، أراد الأقارب أن يُسمّوه باسم أبيه، أي زكريّا. ولكن زكريّا، لكونه غير قادر على الكلام، كتب على لوح: «**اسمه يوحنّا**». وفي الحال انحلّ لسانه، فعاد يتكلّم! ففرح جميع الحاضرين، وامتلأوا رجاءً، إذ أدركوا أنّ هذا الطفل **هو السابق لمجيء المسيّا المنتظَر**.

وعندئذٍ، وبلسانٍ طليق، نطق زكريّا بنبوءة **مملوءة من الرُّوح القُدُس**، عن مجيء المسيّا ورسالة ابنه السابق. وقد تحقّقت كلماته **بميلاد الرَّبِّ يسوع المسيح**، بعد ستة أشهر من **ولادة القدّيس يوحنّا**.

كيف نجا القدّيس يوحنّا من مذبحة الأطفال التي أمر بها هيرودس

كان **القدّيس يوحنّا** أيضًا من بين الأطفال الذين **أراد هيرودس قتلهم**. وما إن أدركت أليصابات أن خطّة **هيرودس الشرّيرة** قد دخلت حيّز التنفيذ، حتى حملت **يوحنّا** بين ذراعيها، وركضت لتختبئ به.

تمكّنت أليصابات من الصعود إلى جبلٍ عالٍ، وهناك وجدت ملجأً وبقيت فيه إلى أن زال الخطر وتمكّنت من العودة. وهناك، وبقلبٍ مرتجف وقلقٍ مملوء **بمخافة الله**، توسّلت إلى **الرَّبِّ** قائلةً بصوتٍ عالٍ يفيض رجاءً: «**يا جبلَ الله! اقبَل الأمَّ وطفلها!**».

فجأةً، انشقّ الجبل إلى نصفين، فوجدت الأمّ وابنُها ملاذًا آمنًا في الجانب المقابل. وكما يقول النصّ الكنسي «لَمّا رأى هيرودسُ الإثيمُ النجْمَ أَبهى من كلِّ الخليقةِ اضطرب، واختطفَ الأطفالَ الرُّضَّعَ من أحضانِ أُمَّهاتِهم. **أمّا أليصاباتُ فقد أخذتْ يوحنّا، وطلبتْ إلى الصخرة، قائلةً: اقبَلِ الابنَ مع أُمِّه، فقَبِلَ الجبلُ يوحنّا السّابقَ.** وحفِظَ المذودُ الكنزَ الذي دلَّ عليه النجمُ. وسَجَدَ المجوسُ له. فيارَبُّ المجدِ لك.» (صلاة السَحر، ٢٩ كانون الأول). وفي تلك الأثناء، أمر **هيرودس** جنوده أن يعثروا على زكريّا ليُخبروه بمكان **الطفل يوحنّا**. فوقف زكريّا بشجاعة أمامهم وقال: «**أنا خادم العليّ، ولا أعلم أين هو ابني الآن**». فلمّا بلغ الخبر إلى **هيرودس**، أمر بقتله في الحال، فذبحه الجنود بين الهيكل والمذبح، كما ورد في (متّى ٢٣: ٣٥).

السيرة العجيبة للقديس يوحنّا المعمدان: لَا تُوجَدُ معلوماتٌ كثيرةٌ عن طُفولةِ يوحنَّا المعمدان، إلَّا أنَّ التقليدَ يَروي أنَّهُ ذَهَبَ إلى بَرِّيَّةِ اليهوديَّةِ مُنذُ شَبَابِهِ، وبَقِيَ هناك إلى أنْ بَلَغَ الثلاثينَ من عُمرِهِ، مُمارِسًا حياةَ النُّسكِ والتقشُّف. وقدِ انْعَكَسَ هذا النُّسْكُ في لِباسِهِ وطَعامِهِ؛ إذْ كانَ يَرْتَدي ثَوْبًا مَصْنوعًا من وَبَرِ الجِمالِ، ويَشُدُّ وَسْطَهُ بِحِزامٍ جِلْدِيّ. أمَّا طَعامُهُ فَكانَ يَعْتَمِدُ على الجَرادِ والعَسَلِ البَرِّيّ. ويبدو أنَّ يوحنّا السَّابِقَ لم يَكنْ مُسْتَقِرًّا في مكانٍ واحد، بل كان يَتَنقَّلُ في مِنطَقَةِ نَهْرِ الأُرْدُنِّ، يُبَشِّرُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ.

لماذا دُعي يوحنّا «المعمدان»؟ لم تَكُنْ رسالةُ **يوحنّا** تَقتَصِرُ على التنبُّؤِ بِمَجيءِ **المسيح**، بل شَمِلَت أيضًا إعدادَ نُفوسِ المؤمنين. فَكانَ الذين يُصغُون إليه يُقِرّون بِخَطاياهم، وهو يُعَمِّدُهُم في نهرِ الأُرْدُنِّ كعلامةٍ على التوبة. وقد أتى **يسوعُ المسيحُ** نفسُه إلى نهر الأُرْدُنِّ، وطلب من **يوحنّا** أن يُعَمِّدَه. فامتلأ **يوحنّا** خشوعًا وتَرَدُّدًا، لكنَّ **يسوع** دعاه إلى أن يُتَمِّما معًا كُلَّ ما كُتِبَ في الناموس والأنبياء. وهكذا صار **يوحنَّا مُعَمِّدَ المسيح** وشاهِدًا على هذا الحدثِ الإلهيِّ العظيم.

لماذا دُعي يوحنّا «السابق»؟: سُمِّيَ القدّيسُ يوحنَّا «السابقَ» لأنَّه جاء إلى الأرضِ قبلَ **يسوعَ المسيح**، وكان يُهَيِّئُ العالَمَ لمَجيءِ المُخلِّص، مُمَهِّدًا الطريقَ أمامه. وبعبارة: «توبوا، فقد اقتربَ ملكوتُ السماوات»، كان يُهيِّئُ مجيءَ **الرَّبّ**. ومن خلال كلمتِه الجذّابة، كان

يوحنّا يجذِبُ جمهورًا من المُتعجّبين، يأتون من كلّ أنحاءِ فلسطينَ ليسمَعوا كرازتَه.

«**من خلال كلمته**»: أي من خلال الرسالة التي كان يعلنها يوحنّا المعمدان، والتي لم تكن مجرّد كلمات بشرية، بل نابعة من دعوته النبويَّة. «**اللوغوس/ كلمته**» هنا يحمل دلالة تعليميّة، كرازيّة، فيها نداء للتوبة وتجديد الحياة.

«**كان يوحنّا يجتذب جمهورًا من المعجبين**»: θαυμαστών الكلمة اليونانية **ثاڤماستون** لا تعني فقط : «**معجبين**» بالمعنى السطحي، بل تحمل في طيّاتها دهشة عميقة وشعورًا بالمهابة تجاه شخص يوحنّا وكلامه. أي أن تأثير يوحنّا لم يكن نتيجة إقناع عقلي فقط، بل كان يلامس أعماق القلب ويهزّ الضمير.

«**الذين كانوا يأتون من كُلِّ فلسطين**»: تشير إلى أن يوحنّا لم يكن نبيًّا محصورًا في قرية أو منطقة، بل بلغ صوته أرجاء الأرض المقدّسة بأكملها – من الجليل إلى اليهودية، ومن أريحا إلى أورشليم، وهذا دليل على قوّة حضوره وتجاوب الناس العميق مع دعوته.

«**لكي يستمعوا إلى كرازته**»: كلمة كيريغما κήρυγμα في السياق البيبليّ تحمل معنى خاصًّا: المناداة العلنية بكلمة الله، النُبوّة، الدعوة للتوبة.

الاستماع إليه لم يكن تسلية أو فضولًا، بل كان الناس يعتبرون هذا الكلام رسالة إلهيّة تمسّ الخلاص الشخصي والجماعي. («**البَيْبَلِيّ**» (biblical) هي تعريب للكلمة اللاتينية والإنجليزية Biblical، والمقصود بها:«الذي يخصّ الكتاب المقدّس»، أو «المتعلّق بالكتاب المقدّس» (البيبل = Bible = الكتاب المقدّس). «الكلمة لها معنى خاص في السياق البيبليّ» تعني أنَّ لها دلالة لاهوتيَّة أو رمزيَّة أو نبويَّة في العهدين القديم أو الجديد.

«الملكوت في السياق البيبلي لا يُفهم سياسيًّا، بل **روحيًّا**» أي أن مفهومه في الكتاب المقدّس أوسع وأعمق من المفهوم الأرضي.

قطع رأس النبي السابق الكريم يوحنّا: قال **القديس يوحنّا السابق**: «لا يَحِلّ لك أن تأخذ امرأة أخيك»، أي: لا يُسمَح لك بحسب شريعة **الله** أن تحتفظ بامرأة أخيك، الذي لا يزال حيًّا. وقد اعتُبرت كلمات النبيّ السابق إهانة قاسية لضمير **هيرودس أنتيباس الفاسد، ولزوجته غير الشرعيّة هيروديا**، التي كانت في الأصل زوجة أخيه فيليبس. ومن ثَمَّ، وإذ استشاطت **هيروديا** غضبًا من توبيخات **يوحنّا** ومن كرازته الصريحة التي كشفت خطيئتها علنًا، قرّرت أن تُلقي به في السجن.

وفي يوم عيد ميلاد **هيرودس**، وبعد أن أُعجِب كثيرًا برقص **ابنة هيروديا، سالومي**، قَسَم لها أن يُعطيها ما تطلبه. فحينئذٍ، أوعزت **هيروديا** إلى ابنتها أن تطلب رأس يوحنّا على طبقٍ — وهكذا تمّ ما أرادت.

متى تُعيِّد الكنيسة للقديس يوحنّا المعمدان؟: تُقيم الكنيسة تذكار **القديس يوحنّا المعمدان والسابق** في ٧ كانون الثاني (يناير) شرقي، أي في اليوم التالي مباشرة لعيد الظهور الإلهي (الغطاس).

وتحتفل كنيستُنا بعيد ميلاد القديس يوحنّا المعمدان في ٢٤ حزيران (يونيو) شرقي. و في ٢٤ شباط (فبراير) شرقي، تكرّم الكنيسة ذكرى العثور على الرأس المقدّس للقديس يوحنّا، في المرّتين الأولى والثانية، بينما تُقيم في ٢٥ أيار (مايو) شرقي، تذكار العثور الثالث على الرأس الكريم للقديس يوحنّا المعمدان. و في ٢٩ آب (أغسطس) شرقي، نُحيي ذكرى قطع رأس القديس السابق الكريم يوحنّا، كتذكار يُلهم الأجيال، ويقدِّم مثالًا خالدًا لكل من يريد أن يخدم الحقّ ويجاهد ضدَّ الفساد، بصرف النظر عن التهديدات والتضحيات.

هامة لقديس يوحنّا المكرَّمة: مسيرته من المجد إلى المجد:

تنقَّل **الرأس المقدَّس للقديس يوحنّا المعمدان** بين أيادٍ كثيرة عبر الزمن، حتى وصل في أحد الأيام إلى **راهبٍ أرِيُوسي يُدعى أوستاثيوس**. وقد قام هذا الكاهن الراهب بإخفاء الرأس في مغارة لمدَّة طويلة، إلى أن نُقل أخيرًا إلى **بنتيخيّون في منطقة بيثينيا**.

في تلك المدينة، قام **الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير** برفع الرأس الكريم إلى كنيسة «**إيفدو**» في القسطنطينيَّة، حيث شُيِّد هيكلٌ عظيم يليق **بقداسة النبي والرسول والمعمدان يوحنّا**.

وفي حوالي سنة **١٧٦٥م** ، وخلال **غزوات القراصنة** على **جبل آثوس**، قام بعض **القراصنة** بمهاجمة رهبان **دير ديونيسيوس البطريركي والاستافروبيغي (الصليبي)**، وسرقوا جزءًا من **هامة القديس يوحنّا المقدَّسة**.

أمَّا اليوم، فإنَّ هذا الجزء من الهامة المباركة محفوظ في الجامع الكبير بدمشق – سوريا، الذي كان سابقًا كنيسة مسيحيَّة مكرَّسة للقديس يوحنّا المعمدان نفسه.

أين تُحفَظ ذخائر القديس يوحنا المعمدان؟: يُعتَبَر القدّيس يوحنّا شفيعَ الرهبنة الأرثوذكسيّة، ومنارتها، ومرشدَ طريقها، بسبب نسكه في البرية. لا تُحصى الأديرة والكنائس التي تحمل اسمه.

ذخائر القديس يوحنا المعمدان: كانت ذخائره المقدسة لقرون محفوظة في القسطنطينيَّة، وبعد العديد من المحن، تُحفظ الآن في أماكن مختلفة، خاصة في اليونان (**جبل آثوس وأديرة أخرى**).

الرأس (الهامة) للقديس وُجدت بطريقة عجائبية ثلاث مرات. اليوم، جزء منها محفوظ في الجامع الكبير بدمشق في سوريا، والذي كان في الأصل كنيسة مسيحيَّة مكرّسة للقديس يوحنا المعمدان. هذا الجزء من الجمجمة سُرق سنة **١٧٦٥م** من رهبان **دير ديونيسيو في جبل آثوس** على يد **قراصنة أتراك**.

في **دير ديونيسيو الآثوسي**، المعروف أيضًا باسم دير المعمدان، يُحفظ اليوم ذخيرة مقدسة أخرى: **يد القديس اليمنى غير القابلة للفساد والتي عمّد بها الرَّبّ يسوع المسيح**.

جزء آخر من الجمجمة، يُعتقد أنه الأكبر، محفوظ منذ عام **١٢٠٦** في كاتدرائية أميان في فرنسا، وهي أكبر كاتدرائية قوطية في أوروبا الغربيَّة. بعد نهب القسطنطينيَّة من قبل **الصليبيين اللاتين** عام **١٢٠٤**، سُرقت ذخائر كثيرة، من بينها وجه القديس يوحنا غير الفاسد. يوجد أيضًا الذراع اليسرى في **متحف توبكابي** في القسطنطينيَّة.

تفصيل الذخائر المحفوظة حاليًا:

- جزء من الجمجمة في دير دوخيريُّو (جبل آثوس).
- جزء منها في الجامع الكبير في دمشق.

- الجزء العلوي في متحف قصر توبكابي.
- الجزء الأمامي (بدون الفك) في كاتدرائية أميان.
- جزء من الفك مع ثلاثة أسنان في دير ستافرونيكيتا (جبل آثوس)
- اليد اليمنى غير القابلة للفساد في دير ديونيسيو.
- اليد اليسرى غير القابلة للفساد في متحف توبكابي.
- جزء من اليسرى في دير ميتيورا الكبير (التجلّي)
- إصبع محفوظٌ في دير فاتوبيذي في جبل آثوس
- قطعة من اليد اليسرى في دير القديس يوحنا ماكرينوس في ميغارا
- قطع محفوظة في أديرة إيفيرون، پانتوكراتور، القديس بندليمون، كاراكلو (جبل آثوس)، كيكُوس (قبرص)، لاڤرا الثالوث – القديس سرجيوس في موسكو، وكنيسة القديس جورج اليونانيَّة في البندقية.
- كما يُحفظ «ضفيرة شعر» في دير رؤساء الملائكة في إيجاليا.

الأعياد المرتبطة بالقديس يوحنا المعمدان حسب ترتيبها الزمني في السنة الكنسية

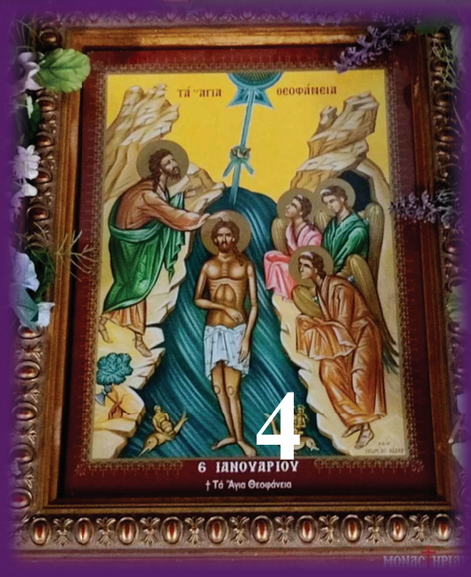

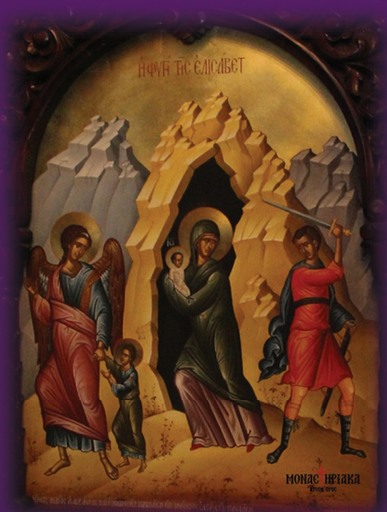

هروب أليصابات مع طفلها

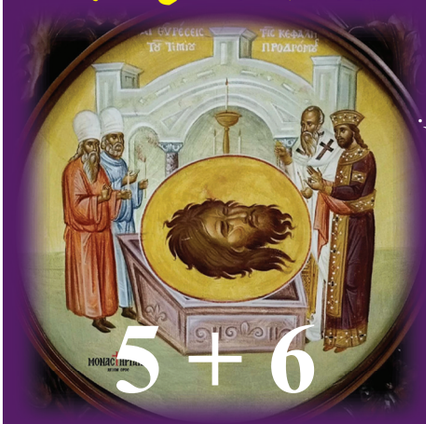

١) الحبل به – 23 أيلول (سبتمبر) – تذكار بشارة الملاك جبرائيل لزكريا الكاهن بميلاد يوحنا.

٢) ميلاده – 24 حزيران (يونيو) – أحد الأعياد السيدية الصغرى، يسبق ميلاد الرب بثلاثة أشهر.

٣) قطع رأسه – 29 آب (أغسطس) – تذكار استشهاده بيد هيرودس، يوم صوم وانسحاق.

٤) تذكار جامع له – 7 كانون الثاني (يناير) – يقع في اليوم التالي لعيد الظهور الإلهي (الغطاس)، ويُعرف أيضًا بـ"السيناكسي" تكريمًا له كشاهد للثالوث.

٥) الظهور الأول لرأسه الشريف – 24 شباط (فبراير) – تذكار العثور الأول على رأسه المقدّسة.

٦) الظهور الثاني والثالث لرأسه الشريف – 25 أيار (مايو) – تذكار اكتشاف الرأس مرة أخرى ونقلها إلى القسطنطينية.

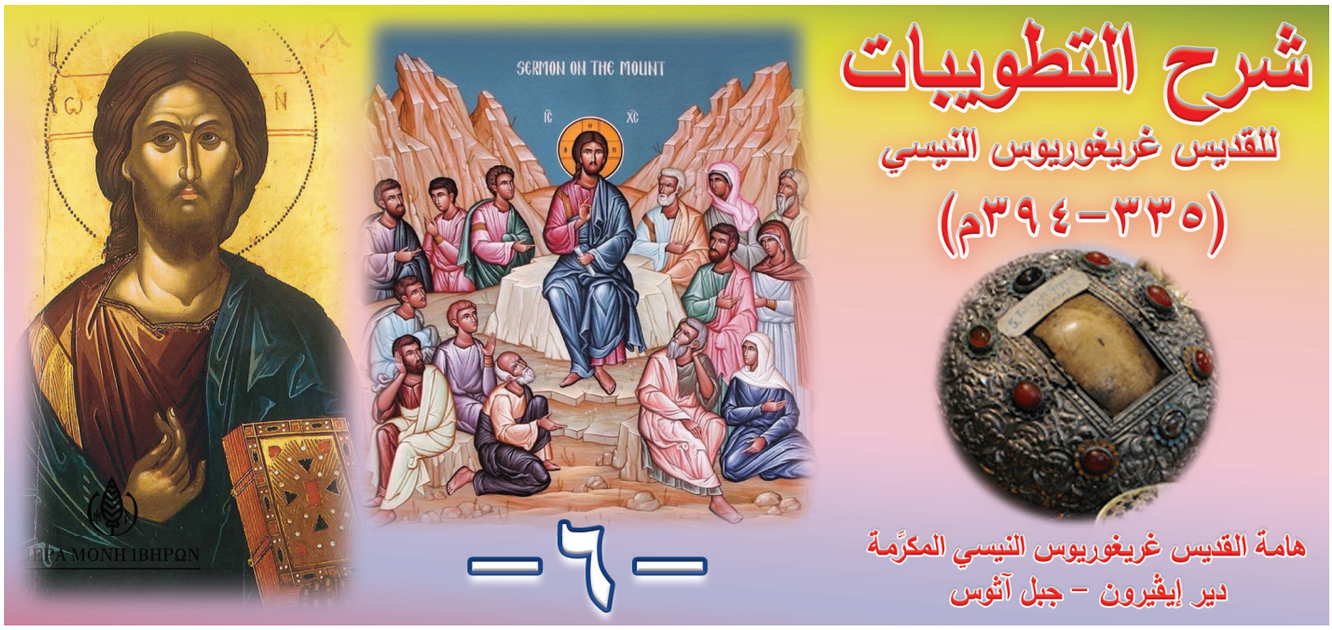

† «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ» (مت ٥: ٨) (١)

مِنْ كَلاَمِ الرَّبِّ السَّامِي الَّذِي يُشْبِهُ قِمَّةَ جَبَلٍ، عِنْدَمَا نَظَرْتُ إِلَى أَسْفَلَ إِلَى أَعْمَاقِ أَفْكَارِهِ الَّتِي تَفُوقُ الْوَصْفَ، حَصَلَ ذِهْنِي عَلَى خِبْرَةِ إِنْسَانٍ يَتَفَرَّسُ مِنْ رُبْوَةٍ عَالِيَةٍ فِي الْبَحْرِ تَحْتَهُ. وَإِذَا نَظَرَ الإِنْسَانُ إِلَى أَسْفَلَ مِنْ هَذِهِ الْقِمَّةِ الْعَالِيَةِ إِلَى الْبَحْرِ يَشْعُرُ بِالدُّوَارِ. هَكَذَا أَيْضًا رُوحِي تَفْعَلُ الآنَ، إِذْ تَكُونُ قَدْ رُفِعَتْ مِنَ الأَرْضِ بِكَلِمَةِ الرَّبِّ الْعَظِيمَةِ هَذِهِ: «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ». لَقَدْ وُعِدَتْ رُؤْيَةُ اللهِ لِلَّذِينَ تَنَقَّتْ قُلُوبُهُمْ. وَلَكِنْ «اللهَ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ» (يو ١:١٨)، كَمَا أَنَّ ذِهْنَ الْقِدِّيسِ بُولُسَ السَّامِي يُؤَيِّدُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ بِقَوْلِهِ: «الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ» (١تيموثاوس ٦: ١٦).

وَكُلُّ إِمْكَانِيَّةٍ لِلإِدْرَاكِ يُزِيلُهَا هَذَا الإِنْكَارُ الصَّرِيحُ «لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ» (خر٣٣: ٢٠). وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ رُؤْيَةَ اللهِ إِنَّمَا هِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. فَمِنْ نَاحِيَةٍ، فَإِنَّ أَعْمِدَةَ الإِيمَانِ: يُوحَنَّا وَبُولُس وَمُوسَى، يُعْلِنُونَ أَنَّ هَذَا مُسْتَحِيلٌ. وَإِذَا كَانَ اللهُ هُوَ الْحَيَاةَ، فَإِنَّ الإِنْسَانَ الَّذِي لاَ يَرَاهُ، لاَ يَرَى حَيَاةً. وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، فَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ الْمُلْهَمِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يُرَى. فَإِنْ كَانَتْ يَدُ الْكَلِمَةِ (الْمُتَجَسِّدِ) تَمْتَدُّ إِلَيْنَا أَيْضًا وَتُؤَيِّدُ – بِرُؤْيَةٍ مُخْتَلِفَةٍ – أُولَئِكَ الَّذِينَ فَقَدُوا تَوَازُنَهُمْ فِي أَعْمَاقِ أَفْكَارِهِمْ؛ فَإِنَّهُ يُمْكِنُنَا أَنْ نَكُونَ بِلاَ خَوْفٍ، إِذْ نَكُونُ مُتَشَبِّثِينَ بِالْيَدِ الْقَائِدَةِ لِلْكَلِمَةِ، لأَنَّهُ يَقُولُ: «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ...».

هل تنقية القلب مُمكنة؟

عَظِيمٌ هَذَا الْوَعْدُ لِدَرَجَةِ أَنَّهُ يَتَخَطَّى حُدُودَ التَّطْوِيبِ الْقُصْوَى، لأَنَّهُ مَاذَا يُمْكِنُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَشْتَهِيَ بَعْدَ هَذَا الصَّلاَحِ، طَالَمَا أَنَّهُ يَمْتَلِكُ كُلَّ شَيْءٍ فِي ذَاكَ (أَيِ الرَّبِّ) الَّذِي يَتَأَمَّلُهُ؟ لأَنَّهُ، حَسَبَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، فَإِنَّ الرُّؤْيَةَ مِثْلُ الامْتِلاَكِ، مِثْلَ: «وَتُبْصِرُ خَيْرَ أُورُشَلِيمَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ» (مز ١٢٧: ٥)، بَدَلاً مِنْ: «يُمْكِنُكَ أَنْ تَجِدَ» الَّذِي هُوَ قَصْدُ هَذِهِ الآيَةِ. وَأَيْضًا: «فَلْيُقْصَ الأَثِيمُ حَتَّى لاَ يُعَايِنَ مَجْدَ الرَّبِّ» (إش ٢٦: ١٠ سَبْعِينِيَّة). حَيْثُ يَقْصِدُ النَّبِيُّ بِعَدَمِ مُعَايَنَةِ الرَّبِّ، الإِشَارَةَ إِلَى عَدَمِ الْمُشَارَكَةِ فِي مَجْدِهِ.

وَمِنْ ثَمَّ، فَإِنَّ مَنْ يُعَايِنُ اللهَ يَمْتَلِكُ، بِهَذِهِ الْمُعَايَنَةِ، كُلَّ أُمُورٍ صَالِحَةٍ. وَنَحْنُ بِذَلِكَ نُدْرِكُ حَيَاةً لاَ نِهَايَةَ لَهَا وَعَدَمَ فَسَادٍ أَبَدِيٍّ وَتَطْوِيبٍ خَالِدٍ. وَبِذَلِكَ سَوْفَ نَتَمَتَّعُ بِمَلَكُوتِ سَعَادَةٍ أَبَدِيَّةٍ لاَ تَنْتَهِي، وَسَوْفَ نُعَايِنُ النُّورَ الْحَقِيقِيَّ، وَنَسْمَعُ صَوْتَ الرُّوحِ الْمُعَزِّي، وَسَوْفَ نَتَهَلَّلُ – بِصِفَةٍ دَائِمَةٍ – بِكُلِّ مَا هُوَ صَالِحٌ فِي الْمَجْدِ الَّذِي كَانَ مِنَ الْمُتَعَذِّرِ الْوُصُولُ إِلَيْهِ.

هكَذَا يَكُونُ عَظِيمًا الإِنْجَازُ الَّذِي يُقَدَّمُ لِرَجَائِنَا فِيمَا وَعَدَنَا بِهِ هَذَا التَّطْوِيبُ. وَلَكِنْ، حَيْثُ إِنَّ مُعَايَنَةَ اللهِ أَصْبَحَتْ مُعْتَمِدَةً عَلَى نَقَاوَةِ الْقَلْبِ، فَإِنَّ ذِهْنِي يَشُكُّ فِي الْقُدْرَةِ عَلَى إِنْجَازِ نَقَاوَةِ الْقَلْبِ، لأَنَّهَا تَفُوقُ طَبِيعَتَنَا. لأَنَّهُ إِنْ كَانَتْ رُؤْيَةُ اللهِ تَعْتَمِدُ عَلَى ذَلِكَ، فَمِنَ النَّاحِيَةِ الأُخْرَى، فَإِنَّ مُوسَى النَّبِيَّ وَبُولُسَ الرَّسُولَ لَمْ يَنْظُرَاهُ، وَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ لأَحَدٍ أَنْ يَرَاهُ: «اللهَ لَمْ يَنْظُرْهُ أَحَدٌ قَطُّ» (١يو٤: ١٢). وَلَكِنَّ الْكَلِمَةَ يَبْدُو أَنَّهُ يَطْلُبُ أَمْرًا مُسْتَحِيلًا فِي التَّطْوِيبِ. إِذَنْ، فَمَاذَا نَنْتَفِعُ مِنْ مَعْرِفَةِ كَيْفَ يَرَى الإِنْسَانُ اللهَ، إِذَا وَجَدَ الذِّهْنُ أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَمَلُ ذَلِكَ؟

وَلٰكِنْ هَلْ يَطْلُبُ الرَّبُّ شَيْئًا عَظِيمًا لِدَرَجَةِ أَنَّهُ يَفُوقُ تَمَامًا طَبِيعَتَنَا وَحُدُودَ قُدْرَتِهَا؟ **بِالتَّأْكِيدِ، لا**. إِنَّهُ لا يَطْلُبُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَيْسَتْ لَهُمْ أَجْنِحَةٌ أَنْ يَصِيرُوا طُيُورًا، وَلا هُوَ يَأْمُرُ ٱلْمَخْلُوقَاتِ ٱلَّتِي قُدِّرَ لَهَا أَنْ تَعِيشَ عَلَى ٱلْأَرْضِ أَنْ تَسْبَحَ فِي ٱلْمَاءِ. فَلَا شَيْءَ يُجْبَرُ عَلَى أَمْرٍ يَفُوقُ طَبِيعَتَهُ. وَلَمْ يَعُزْ ٱلْقِدِّيسُ يُوحَنَّا أَوْ بُولُسُ ٱلرَّسُولُ أَوْ مُوسَى ٱلنَّبِيُّ أَوْ غَيْرُهُمْ، مَا فِي هٰذَا ٱلتَّطْوِيبِ ٱلْفَائِقِ حَتَّى أَنَّهُمْ عَايَنُوا ٱللهَ. لِأَنَّ بُولُسَ ٱلرَّسُولَ قَالَ: «قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ ٱلْبِرِّ، ٱلَّذِي يَهَبُهُ لِي... ٱلرَّبُّ ٱلدَّيَّانُ ٱلْعَادِلُ» (٢ تيموثاوس ٤: ٨). وَٱلْقِدِّيسُ يُوحَنَّا ٱتَّكَأَ عَلَى صَدْرِ ٱلرَّبِّ يَسُوعَ (يُو٢١: ٢٠). وَمُوسَى ٱلنَّبِيُّ سَمِعَ ٱلصَّوْتَ ٱلْإِلٰهِيَّ قَائِلًا: «عَرَفْتُكَ بِٱسْمِكَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ» (خروج ٣٣: ١٧ ٱلسَّبْعِينِيَّة). فَلَا شَكَّ أَنَّ هٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ صَرَّحُوا بِأَنَّ إِدْرَاكَ ٱللهِ فَوْقَ ٱلْقُدْرَةِ ٱلْبَشَرِيَّةِ، هُمْ أَنْفُسُهُمْ مُطَوَّبُونَ. إِذَنْ، فَإِنَّ نَقَاوَةَ ٱلْقَلْبِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مُسْتَحِيلَةً.

إِنَّ ٱلطَّبِيعَةَ ٱلْإِلٰهِيَّةَ مَهْمَا كَانَتْ، فَهِيَ تَفُوقُ كُلَّ إِدْرَاكٍ عَقْلِيٍّ. لِأَنَّهُ

يَتَعَذَّرُ تَمَامًا عَلَى ٱلتَّفْكِيرِ وَٱلتَّخْمِينِ ٱلْبُلُوغُ إِلَيْهَا، وَلَا وُجِدَتْ أَيَّةُ كَفَاءَةٍ بَشَرِيَّةٍ قَادِرَةٍ عَلَى إِدْرَاكِ مَا لَا يُمْكِنُ إِدْرَاكُهُ، لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُنَا ٱسْتِنْبَاطُ وَسِيلَةٍ لِإِدْرَاكِ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي تَفُوقُ ٱلتَّصَوُّرَ. فَإِنَّ **ٱلْقِدِّيسَ بُولُسَ** يُسَمِّي **طُرُقَ ٱللهِ** أَنَّهَا بَعِيدَةٌ عَنِ ٱلِاسْتِقْصَاءِ (رومية ١١: ٣٣). وَلِذٰلِكَ، فَإِنَّ غَيْرَ ٱلْمَرْئِيِّ وَغَيْرَ ٱلْمُدْرَكِ يُرَى وَيُدْرَكُ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى. فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يُرَى ذَاكَ ٱلَّذِي صَنَعَ كُلَّ ٱلْأَشْيَاءِ بِحِكْمَةٍ (مزمور ١٠٣: ٢٤) عَنْ طَرِيقِ ٱلِاسْتِنْتَاجِ بِٱلْحِكْمَةِ ٱلَّتِي تَظْهَرُ فِي ٱلْكَوْنِ.

وَهٰكَذَا أَيْضًا بِٱلنِّسْبَةِ لِأَعْمَالِ ٱلْمَهَارَةِ ٱلْبَشَرِيَّةِ ٱلَّتِي يُمْكِنُ لِلذِّهْنِ أَنْ يُدْرِكَ بِهَا صَانِعَ ٱلشَّيْءِ، لِأَنَّهُ تَرَكَ عَلَى عَمَلِهِ بَصْمَةَ مَهَارَتِهِ. فَفِي ذٰلِكَ تُرَى، لَيْسَتْ طَبِيعَةُ ٱلْفَنَّانِ، بَلْ فَقَطْ مَهَارَتُهُ ٱلْفَنِّيَّةُ ٱلَّتِي طَبَعَهَا عَلَى عَمَلِهِ ٱلْيَدَوِيِّ.

هٰكَذَا أَيْضًا عِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى نِظَامِ ٱلْخَلِيقَةِ، فَهِيَ تُشَكِّلُ صُورَةَ ٱلشَّيْءِ وَلَيْسَ جَوْهَرَهُ، بَلْ حِكْمَةَ ذَاكَ ٱلَّذِي عَمِلَ كُلَّ شَيْءٍ بِحِكْمَةٍ. وَإِذَا تَفَكَّرْنَا فِي سَبَبِ حَيَاتِنَا، **فَإِنَّ ٱللهَ** خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ، لَيْسَ عَنْ ضَرُورَةٍ، بَلْ عَنْ إِرَادَةٍ حُرَّةٍ مِنْ قِبَلِ صَلَاحِهِ. نَقُولُ إِنَّنَا قَدْ تَأَمَّلْنَا فِي **ٱللهِ** بِهٰذِهِ ٱلطَّرِيقَةِ، حَتَّى أَدْرَكْنَا **صَلَاحَهُ وَلَيْسَ جَوْهَرَهُ**. وَهٰذَا هُوَ نَفْسُ ٱلشَّيْءِ مَعَ كُلِّ ٱلْأُمُورِ ٱلْأُخْرَى ٱلَّتِي تَرْقَى بِٱلذِّهْنِ إِلَى صَلَاحٍ فَائِقٍ. وَكُلُّ ذٰلِكَ يُمْكِنُنَا أَنْ نُسَمِّيهِ «**ٱلْمُدْرَكَاتِ ٱلْإِلٰهِيَّةِ**»، حَيْثُ إِنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ تِلْكَ ٱلتَّأَمُّلَاتِ ٱلسَّامِيَةِ، **تَجْعَلُ ٱللهَ** فِي نِطَاقِ بَصَرِنَا. لِأَنَّ ٱلْقُوَّةَ وَٱلطَّهَارَةَ وَٱلْإِخْلَاصَ، هٰذِهِ كُلُّهَا تَطْبَعُ فِي ٱلنَّفْسِ بَصْمَةَ **ذِهْنٍ إِلٰهِيٍّ** فَائِقٍ.

وَمِنْ ثَمَّ، فَمِنَ ٱلْوَاضِحِ، **أَنَّ ٱلرَّبَّ** يَقُولُ ٱلْحَقَّ عِنْدَمَا يَعِدُ **بِمُعَايَنَةِ ٱللهِ** لِمَنْ هُمْ قَلْبُهُمْ نَقِيٌّ. وَلَا حَتَّى **ٱلْقِدِّيسُ بُولُسُ** يُخْدِعُنَا عِنْدَمَا يُصِرُّ عَلَى **أَنَّ ٱللهَ** لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ. **لِأَنَّ ٱللهَ** بِطَبِيعَتِهِ غَيْرُ مَرْئِيٍّ، وَلٰكِنَّهَا (**أَيْ طَبِيعَتُهُ**) تُصْبِحُ مَرْئِيَّةً فِي قُدْرَاتِهِ ٱلَّتِي يُمْكِنُ ٱلتَّأَمُّلُ فِيهَا.

وَلٰكِنَّ مَعْنَى هٰذَا التَّطْوِيبِ لا يَنْحَصِرُ فَقَطْ فِي أَنَّ ذٰلِكَ ٱلَّذِي يَعْمَلُهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا بِٱلْقِيَاسِ مِنْ خِلَالِ أَفْعَالِهِ، لِأَنَّهُ رُبَّمَا يَكْتَسِبُ حُكَمَاءُ هٰذَا ٱلْعَالَمِ بَعْضَ ٱلْمَعْرِفَةِ لِلْحِكْمَةِ وَٱلْقُوَّةِ ٱلْفَائِقَتَيْنِ مِنْ تَنَاسُقِ ٱلْكَوْنِ. فَإِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّ هٰذَا التَّطْوِيبَ السَّامِي يُقَدِّمُ مَشُورَةً أُخْرَى لِأُولٰئِكَ ٱلْقَادِرِينَ أَنْ يَقْبَلُوا وَيَتَأَمَّلُوا فِيمَا يَشْتَهُونَهُ. فَمَثَلًا، تَكُونُ ٱلصِّحَّةُ ٱلْجَسَدِيَّةُ مَرْغُوبًا فِيهَا، وَلٰكِنَّهَا تَكُونُ مُبَارَكَةً لَيْسَ فَقَطْ لِمَعْرِفَةِ جَوْهَرِ الصِّحَّةِ، بَلْ لِكَيْ يَكُونَ لِلْإِنْسَانِ صِحَّةٌ جَيِّدَةٌ. وَبِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ أَيْضًا، يَنْبَغِي أَنْ نَفْهَمَ كَلَامَ هٰذَا التَّطْوِيبِ.

إِنَّ ٱلرَّبَّ لَمْ يَقُلْ إِنَّ مَعْرِفَةَ شَيْءٍ **عَنِ ٱللهِ** مُبَارَكَةٌ، بَلْ أَنْ **يَكُونَ ٱللهُ** مَوْجُودًا بِدَاخِلِ الإِنْسَانِ. هٰكَذَا **يُعَبِّرُ ٱلْكَلِمَةُ ٱلْمُتَجَسِّدُ** قَائِلًا: «هَا مَلَكُوتُ ٱللهِ دَاخِلَكُمْ» (لوقا ١٧: ٢١). وَبِذٰلِكَ يَنْبَغِي أَنْ نَتَعَلَّمَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ قَلْبُ الإِنْسَانِ قَدْ تَنَقَّى مِنْ كُلِّ ٱلْمَخْلُوقَاتِ وَٱلْعَوَاطِفِ الْجَامِحَةِ، فَهُوَ يَرَى **صُورَةَ ٱلطَّبِيعَةِ ٱلْإِلٰهِيَّةِ** فِي جَمَالِهِ الشَّخْصِيِّ.

إِنَّهُ يُوجَدُ بِدَاخِلِكَ، أَيُّهَا الإِنْسَانُ، رَغْبَةٌ فِي التَّأَمُّلِ فِي الصَّلَاحِ الْحَقِيقِيِّ. وَيُوجَدُ بِدَاخِلِكَ الْمِعْيَارُ الَّذِي بِهِ تُدْرِكُ اللَّاهُوتَ، لِأَنَّ الَّذِي خَلَقَكَ، وَهَبَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ لِطَبِيعَتِكَ هٰذِهِ الْخَصِيصَةَ الرَّائِعَةَ. **لِأَنَّ ٱللهَ** طَبَعَ فِيهَا صُورَةَ أَمْجَادِ طَبِيعَتِهِ الْخَاصَّةِ، وَكَأَنَّهُ صَاغَ قَالِبًا مَنْحُوتًا فِي شَمْعٍ. وَلٰكِنَّ الشَّرَّ الَّذِي انْسَكَبَ حَوْلَ الطَّبِيعَةِ الْحَامِلَةِ **لِلصُّورَةِ الْإِلٰهِيَّةِ**، جَعَلَ هٰذَا الأَمْرَ الرَّائِعَ بِلَا مَنْفَعَةٍ لَكَ، هٰذَا الْمُخْتَبِئَ تَحْتَ أَحْجِبَةٍ رَدِيئَةٍ. فَإِذَا أَزَلْتَ، بِحَيَاةٍ صَالِحَةٍ، الْقَذَارَةَ الَّتِي الْتَصَقَتْ بِقَلْبِكَ، **فَإِنَّ الْجَمَالَ الْإِلٰهِيَّ** يَشُعُّ فِيكَ مَرَّةً أُخْرَى!

هٰكَذَا يَكُونُ الأَمْرُ أَيْضًا مَعَ الإِنْسَانِ الدَّاخِلِيِّ الَّذِي **يُسَمِّيهِ الرَّبُّ** «**الْقَلْبَ**». فَإِذَا أُزِيلَتْ مِنَ الْقَلْبِ الْقَذَارَةُ الَّتِي تُشْبِهُ الصَّدَأَ، فَهُوَ يَسْتَعِيدُ مَا يُشْبِهُ النَّمُوذَجَ الأَصْلِيَّ وَيَكُونُ صَالِحًا. وَهٰكَذَا، فَإِذَا نَظَرَ إِنْسَانٌ نَقِيُّ الْقَلْبِ إِلَى نَفْسِهِ، يَرَى فِي ذَاتِهِ مَا يَرْغَبُ فِيهِ، فَيُصْبِحُ مَطْوَبًا؛ لأَنَّهُ عِنْدَمَا يَنْظُرُ إِلَى نَقَاوَةِ قَلْبِهِ، يَرَى النَّمُوذَجَ الأَصْلِيَّ. لأَنَّ اللاَّهُوتَ هُوَ نَقَاوَةٌ وَتَحَرُّرٌ مِنَ الْهَوَى وَانْفِصَالٌ عَنْ كُلِّ شَرٍّ. فَإِذَا كَانَ كُلُّ ذٰلِكَ مَوْجُودًا فِيكَ، **يَكُونُ ٱللهُ** بِالتَّأْكِيدِ مَوْجُودًا فِيكَ.

لِذٰلِكَ، فَإِنْ كَانَ تَفْكِيرُكَ خَالِيًا مِنْ أَيِّ زَيْفٍ مِنَ الشَّرِّ، وَحُرًّا مِنَ الْهَوَى، وَبَعِيدًا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ، تَكُونُ مُبَارَكًا، لأَنَّكَ تَكُونُ بَصِيرًا. وَبِذٰلِكَ، تَرَى الرُّؤْيَا الْمُبَارَكَةَ مُشِعَّةً فِي سَمَاءِ قَلْبِكَ النَّقِيِّ. وَلٰكِنْ، مَا هِيَ هٰذِهِ الرُّؤْيَا؟ إِنَّهَا نَقَاوَةٌ، وَقَدَاسَةٌ، وَبَسَاطَةٌ، وَأَفْكَارٌ مُضِيئَةٌ أُخْرَى عَنِ **الطَّبِيعَةِ الإِلٰهِيَّةِ الَّتِي يَتَأَمَّلُ ٱللهُ فِيهَا**.

إِذَا فَكَّرَ أَحَدٌ مَلِيًّا فِي الاِخْتِبَارَاتِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا، وَوَجَدَ أَنَّهَا تُؤَثِّرُ عَلَى النَّفْسِ، فَسَوْفَ يَظُنُّ أَنَّهُ مُنَافٍ لِلْعَقْلِ، وَمُسْتَحِيلٌ إِزَالَةُ الشُّرُورِ الْمُتَّصِلَةِ بِهَا. وَالشَّرُّ يَتَّرِجُ بِطَبِيعَتِنَا بِوَاسِطَةِ أُولٰئِكَ الَّذِينَ خَضَعُوا أَوَّلًا لِلانْفِعَالِ، وَبِتَعَدِّيهِمْ أَوْجَدُوا حَالَةً دَائِمَةً لِلْمَرَضِ. وَطَبِيعَةُ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ تُنْقَلُ فِي كُلِّ الأَجْنَاسِ بِوَاسِطَةِ ذُرِّيَّتِهَا، حَتَّى إِنَّهُ – بِحَسَبِ قَانُونِ الطَّبِيعَةِ – يَكُونُ مَا يُولَدُ مِثْلَ الَّذِي يُولَدُ هُوَ مِنْهُ. مِنْ ثَمَّ، فَإِنَّ الْخَطِيَّةَ تَأْتِي بِطَرِيقَةٍ مَا إِلَى الْوُجُودِ مَعَ أُولٰئِكَ الَّذِينَ يُولَدُونَ، فَهِيَ تُولَدُ وَتَنْمُو مَعَهُمْ، وَفِي نِهَايَةِ الْحَيَاةِ تَنْتَهِي أَيْضًا مَعَهُمْ.

وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، فَإِنَّ الْفَضِيلَةَ صَعْبُ الْبُلُوغِ إِلَيْهَا، حَتَّى بِعَرَقٍ وَأَلَمٍ كَثِيرَيْنِ، وَبِغَيْرَةٍ وَتَعَبٍ، يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُوجِدَهَا بِصُعُوبَةٍ. وَهٰذَا نَتَعَلَّمُهُ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ: «إِنَّ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَلَكُوتِ مُسْتَقِيمٌ وَضَيِّقٌ»، فِي حِينِ أَنَّ **الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى حَيَاةِ الشَّرِّ وَإِلَى الْهَلَاكِ** وَاسِعٌ وَسَهْلٌ.

وَمَعَ ذٰلِكَ، فَإِنَّ الْكِتَابَ يُؤَكِّدُ أَنَّ الْحَيَاةَ الأَسْمَى لَيْسَتْ مُسْتَحِيلَةً بِالْكُلِّيَّةِ، لأَنَّهُ يُخْبِرُنَا بِالإِنْجَازَاتِ الرَّائِعَةِ لِقِدِّيسِينَ عَدِيدِينَ. وَلٰكِنْ، طَالَمَا أَنَّ الْوَعْدَ **بِمُعَايَنَةِ ٱللهِ** لَهُ مَعْنَيَانِ: فِي مَعْرِفَةِ الطَّبِيعَةِ الَّتِي هِيَ فَوْقَ الْكَوْنِ، مِنْ جِهَةٍ؛ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، مَا يَكُونُ **مُتَّحِدًا بِٱللهِ** بِنَقَاوَةِ الْحَيَاةِ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ نَقُولَ: إِنَّ صَوْتَ الْقِدِّيسِينَ يُعْلِنُ أَنَّ أُسْلُوبَ التَّأَمُّلِ الأَوَّلِ مُسْتَحِيلٌ، فِي حِينِ أَنَّ الأُسْلُوبَ الثَّانِي قَدْ وُعِدَ بِهِ لِلطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي **تَعْلِيمِ الرَّبِّ** عَنْ **نَقَاوَةِ الْقَلْبِ**.

كيف تصبح نقي القلب؟

وَلٰكِنْ، كَيْفَ يُمْكِنُكَ أَنْ تَصِيرَ نَقِيًّا؟ هٰذَا نَتَعَلَّمُهُ مِنْ خِلَالِ التَّعْلِيمِ الْكُلِّيِّ **لِلإِنْجِيلِ**. إِنَّكَ تَحْتَاجُ فَقَطْ أَنْ تُطَالِعَ بِإِمْعَانٍ الْوَصَايَا وَاحِدَةً فَوَاحِدَةً، لِكَيْ تَجِدَ بِوُضُوحٍ مَا هُوَ الَّذِي يُنَقِّي الْقَلْبَ. فَيُمْكِنُ تَقْسِيمُ الشَّرِّ إِلَى نَوْعَيْنِ: الشَّرِّ الْمُتَّصِلِ بِالأَعْمَالِ، وَذٰلِكَ الْمُتَّصِلِ بِالأَفْكَارِ. فَالإِثْمُ الَّذِي يَظْهَرُ فِي الأَعْمَالِ يُعَاقِبُ عَلَيْهِ النَّامُوسُ الْقَدِيمُ.

أَمَّا الآنَ، فَقَدْ **أَعْطَى الرَّبُّ** النَّامُوسَ الْمُخْتَصَّ بِالنَّوْعِ الآخَرِ، أَيْ:

الأَفْكَارِ، وَالَّذِي يُعَاقِبُ الْفِكْرَ الشِّرِّيرَ ذَاتَهُ كَحِمَايَةٍ ضِدَّ بَدَايَتِهِ. لِأَنَّهُ بِإِزَالَةِ الشَّرِّ مِنِ اخْتِيَارِ الْمَشِيئَةِ، تَتَحَرَّرُ الْحَيَاةُ بِالْكَامِلِ مِنَ الأَعْمَالِ الرَّدِيئَةِ. وَحَيْثُ إِنَّ الشَّرَّ لَهُ أَجْزَاءٌ وَأَشْكَالٌ عَدِيدَةٌ، فَقَدْ قَاوَمَهُ **الرَّبُّ** بِوَصَايَاهُ بِمُعَالَجَةِ كُلِّ الأُمُورِ الْمَمْنُوعَةِ.

فَبِخُصُوصِ عِلَاجِ الْغَضَبِ مَثَلًا، قَالَ **الرَّبُّ**: «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لَا تَقْتُلْ» (متّى ٥: ٢١)، فَتَعَلَّمِ الآنَ أَنْ تَحْفَظَ نَفْسَكَ مِنَ الْغَضَبِ ضِدَّ قَرِيبِكَ. إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعِ الْغَضَبَ بِالْكُلِّيَّةِ، لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ لِانْفِعَالِ الْغَضَبِ فَائِدَةٌ جَيِّدَةٌ أَحْيَانًا؛ فَمَا تَمْنَعُهُ الْوَصِيَّةُ، هُوَ أَنْ يَغْضَبَ الإِنْسَانُ عَلَى أَخِيهِ بِدُونِ سَبَبٍ مَعْقُولٍ، كَمَا يَقُولُ **الرَّبُّ**: «إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ» (متّى ٥: ٢٢).

فَإِنَّ كَلِمَةَ «بَاطِلٍ»، تُظْهِرُ أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْغَضَبِ كَثِيرًا مَا يَكُونُ فِي وَقْتٍ مُنَاسِبٍ، أَيْ حِينَمَا يَثُورُ الْغَضَبُ لِأَجْلِ التَّأْنِيبِ عَلَى الْخَطِيَّةِ.

فَلْنَهْرُبْ مِنْ كُلِّ مَا هُوَ **شَيْطَانِيّ**، وَنَطْرَحْ عَنَّا **قِنَاعَ الشَّرِّ**، وَنَلْبَسِ الصُّورَةَ **الإِلَهِيَّةَ**، فَنُصْبِحَ أَنْقِيَاءَ الْقَلْبِ؛ حَتَّى نُصْبِحَ مُطَوَّبِينَ عِنْدَمَا تَتَشَكَّلُ فِينَا الصُّورَةُ الإِلَهِيَّةُ فِي **الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا**، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ، آمِينَ.

(١) مُترجم من كتاب:

Ancient Christian Writers, Vol. 18, p. 85.

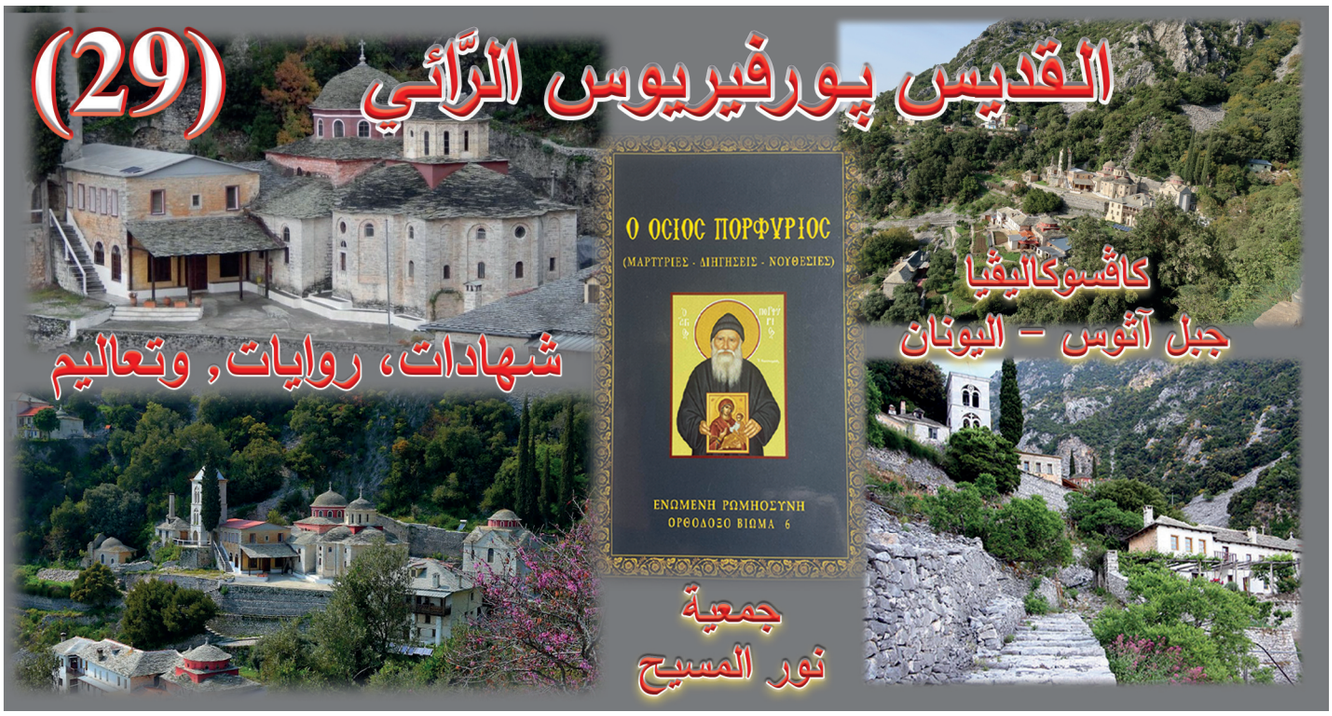

١٠ – «لا تستقيلي!»

شهادة امرأة مجهولة الاسم:

«كان لي أبٌ روحيٌّ هو **الشيخ بورفيريوس** لسنواتٍ طويلة، وقد ساعدني كثيرًا. كنتُ أعمل، وحين جاء مدير جديد إلى مكان عملي، بدأ يضايقني بشكل مفرط ويقدّم لي اقتراحات غير أخلاقيّة. كنتُ في ضيقٍ شديد، أجلس وحدي في بيتي وأفكّر في الاستقالة من عملي.

فجأة، سمعتُ دقّةً على النافذة التي كانت تُشرف على الطريق. نظرتُ، فإذا بأبي الروحي، **القدّيس بورفيريوس**، يقف هناك. قال لي: «افتحي». فتحتُ النافذة، فقال لي: «لا تستقيلي من عملك!» ثم مضى فورًا.

انذهلتُ، وتأثرتُ بشدّة، وتعجّبتُ كيف عرف **الشيخ** بالأمر، وكيف جاء ليساعدني قبل أن أخبره أنا بمشكلتي. أطعتُه وبقيتُ، ومنذ ذلك الحين ساد الهدوء، حتى المدير تغيّر.

أنا ممتنّة له لكلّ ما قدّمه لي، فقد ساعدني روحيًّا، وبفضل نصيحته بقيتُ في عملي حتى بلغت التقاعد. أرجوه أن يتشفّع لأجل خلاص نفسي أيضًا.»

١١ – تأسيس الهدوئيَّة

شهادة السيّد جورجيوس أرڤانيتيس:

«كنتُ أعمل في تسالونيكي، حيث كانت تعيش في تلك الفترة امرأةٌ تقول إنّها مستنيرة، وتتكلّم مع الثالوث القدوس، وكان كثيرون يذهبون ليستمعوا إليها.

هذه المرأة كانت تنتمي إلى مدرسة زولوتا. وكانت ابنتها موظّفة في المحكمة المختصّة بشؤون القاصرين، وأنا كنتُ قاضيًا للأحداث آنذاك...»

...دخلتُ في علاقة مع هذه الشخصيات. امرأة أعرفها كانت تختلط بهذه السيّدة وكادت تصدّقها. أردتُ أن أتحقّق بدقّة عن حقيقتها. قلتُ في نفسي: «**ما العمل؟**» فقلتُ إنّ أفضل مرجع هو المتروبوليت.

ذهبتُ إلى مقرّ **متروبوليت تسالونيكي**، وهناك وجدتُ كاهنًا في المكتب وسألته: «ما القصّة مع هذه السيّدة؟»

فقال لي: «السيّد الجالس هناك يعرف أفضل».

وكان الجالس على الأريكة هو **الأب يوحنّا رومانيديس**، وكان يرتدي لباسًا عاديًّا، لا رهبانيًّا.

اقتربتُ منه، وجلستُ إلى جانبه، وطرحتُ عليه السؤال. فقال لي:

– «نحن نعرف من الكتب، لكن هناك أناس يعرفون من الخبرة».

– فسألته: «مَن هؤلاء؟» – قال: «**الأب باييسيوس**». – قلت: «ومَن هو هذا؟» – قال: «راهب من **الجبل المقدّس**، يمكنك الذهاب والتعرّف إليه».

في الوقت نفسه، كان لديّ صديق من أثينا يهتمّ أيضًا بالتحقُّق من هذه المرأة، وكان له تواصل معها حول الثالوث القدوس. ذهب إليها وسألها: – «كيف يمكنني أن أتأكّد أنّ ما تقولينه هو حقيقي؟» فأجابت هي بنفسها: – «اسألوا الشيخ باييسيوس». وهكذا، بما أنّنا كُنّا أصدقاء، قرّرنا أن نذهب معًا إلى **الشيخ باييسيوس** لنتأكّد من صحّة الموضوع. ذهبنا إلى **جبل آثوس**، ووجدنا الأب باييسيوس، وعرضنا عليه الأمر، فقال: « أنا أعرف السيّدة، وقد كتبتُ لها رسالة، لكنها أعادتها لي دون أن تفتحها. لقد **أصابها الكبرياء**، ومن الصعب أن تتوب، لأنّه عندما يصل الإنسان إلى **الكبرياء**، يكون التخلّي عن الأنانيّة أمرًا عسيرًا».

سألناه: «كيف تمكّن **الشيطان** من أن يُقنع تلك المرأة بالذهاب لتسأل الشيخ باييسيوس؟» ، فأجاب: «لو كان **الشيطان** الصغير هو من دفعها، وليس شيطانًا رئيسيًّا (أي ذو سلطة)، لما وقعتُ أنا في الضلال أيضًا، ولما كنتُ سأُصدّق رؤى تلك السيّدة».

وهكذا، غادرنا بعد أن حصلنا على المعلومة **أنّ ما يحدث هو ضلال بل ضلال كبير**. هذه كانت أوّل مرّة ألتقي فيها بالشيخ باييسيوس.

كنّا قد سألناه يومها أن يُرشدنا إلى أبٍ روحي في تسالونيكي. فذكر لنا بعض الأسماء، ثم قال: «عندما تذهبون إلى أثينا، زوروا **الأب بورفيريوس**».

بعد سنتين، نُقلتُ من تسالونيكي إلى أثينا، وذهبتُ إلى مستشفى «**بولِيكلينيكي**»، حيث كان **الأب بورفيريوس** يعمل هناك، فالتقيتُ به. بجانب المستشفى، في منتصف الشارع الذي فيه **كنيسة نيدريو للقديس جيراسيموس**، هناك ممرّ بلا جدار من جهة الكنيسة، يُشبه الشرفة، ترى منه الكنيسة. كان هناك مقعد، وجلستُ وقتًا طويلًا أتحدّث مع **الأب بورفيريوس**.

لا أتذكّر كلّ ما قاله، لكن أتذكّر جيّدًا تأكيده القويّ، إذ كان يقول لي: «**يا جوارجيوس، إنّ نعمة الله يُمكن أن تُحَسّ وتُختبَر، فهي ليست شيئًا غامضًا أو مُبهَمًا أو غير واضح، بل هي اختبار حقيقي للإنسان المؤمن**». بعد ذلك، بدأتُ أُكثّف تواصلي مع **الأب بورفيريوس**، لكنّي في الوقت نفسه واصلتُ المراسلة مع **الأب باييسيوس**.

وذات مرّة، عندما سألته عن أمر روحي، كتب لي: « الآن بما أنكم تحت إرشاد ذلك الأستاذ، فلا تسألوني أنا، بل اسألوا أستاذكم هناك».

كتب لي أشياء من هذا النوع مرارًا، ثم توقّف عن مراسلتي، لأن مراسلاته كانت قد تكاثفت عليَّ دون أن أشعر، ومن دون أن أدري، بدأتُ أنتقل من الإرشاد الروحي للأب باييسيوس إلى الإرشاد الروحي للأب بورفيريوس. هذه كانت معرفتي **بالأب بورفيريوس**، منذ سنة **١٩٧٣**. (**ملحوظة: لم يكن الانتقال من حضن أبٍ روحيٍّ إلى آخر قرارًا مقصودًا أو خطوة مُخطَّطة، بل كان أشبه بانسياب النعمة داخل النفس. كتب الأب باييسيوس لجاورجيوس رسائل عديدة، ممتلئة بمحبة الله، ومُفعمة بإرشادات الحكمة، لكن هذه المراسلات – مع تكرارها وتكاثرها – لم تعد تُحدث فيه ذاك الصدى العميق الذي يُحرّك النفس. لم يهملها جاورجيوس عمدًا، لكنّه أيضًا لم يعد يُصغي إليها بذات الانتباه الذي كان في البداية. ومع مرور الوقت، وبهدوء الروح، بدأ القلب يتّجه شيئًا فشيئًا نحو الأب بورفيريوس. لم يشعر جاورجيوس متى حدَثَ هذا التحوّل. لم يكن هناك قرار واعٍ، بل نقلٌ لطيف في الروح، تمّ بهدوء كامل. هكذا، دون أن يعي، وجد نفسه تحت ظلال شجرة أخرى وارفة – شجرة الأب بورفيريوس – الذي أصبح منذ تلك اللحظة مرشده ومرآته، وكأنّ الأب باييسيوس نفسه قد سلّمه بسلامٍ إلى هذا الجديد، كمن يسلّم الراية في سباق القداسة.**)

كنّا نذهب إلى **منطقة كاليسيا** لنراه، ونرافقه في تنقّلاته بالسيارة كلّما احتاج الأمر. وذات مرّة، إذ كان يعاني من ورم، اختفى لبعض الوقت عن الناس. ثم لمّا تحسَّن، بدأ يبحث عن مكان مناسب لتأسيس دير. جال في كلٍّ كريت، وفي أتيكا، وفي جزر الدوديكانيز، ليجد المكان الأنسب للدير. وفي النهاية، قرّر أن يختار هذا المكان في **ميليسي**.

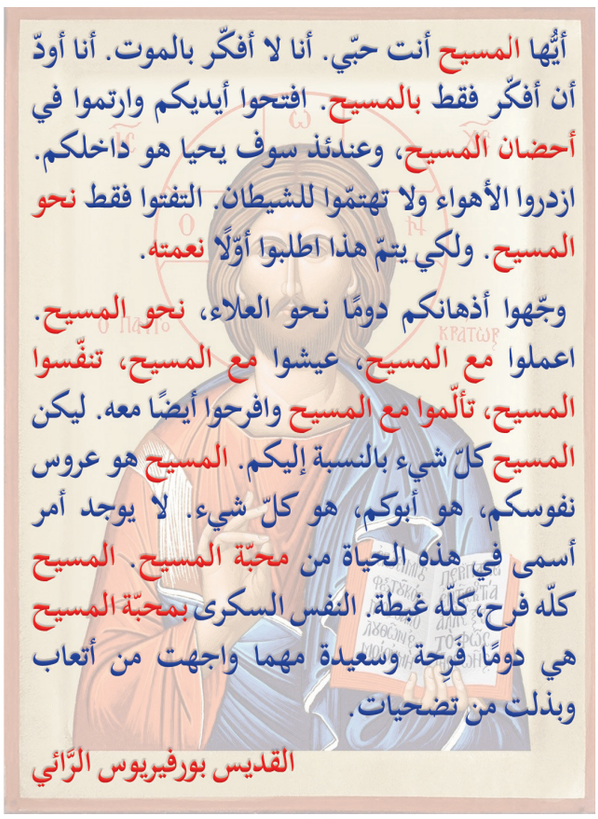

وفي أحد الأيام، كنّا نتمشّى في المنطقة، فصادفنا شخصًا في قطعة أرض، يبيع الخِيَم. فاشترينا خيمتين: واحدة للشيخ، وواحدة لي. الأولى وضعناها فوق سطح السيارة، أما الثانية فكانت ثقيلة، ولم يُعجبه تصميمها، فتركناها.

دفع الشيخ ثمنها، على أن يأخذها في اليوم التالي. في اليوم التالي، عاد الشيخ ولم يجد البائع. لكن بنعمة الله، وبواسطة رؤيا، استطاع أن يجده. اقترب منه وقال له ببساطة: «**الخيمة**.»

يتبع في العدد القادم

يُحتَفل بعيد جامع **لوالدة الإله** في فلاخيرنا بالقسطنطينيَّة في الثاني من تموز شرقي الواقع في ١٥ تموز غربي، بحسب طقس كنيستنا.

لقد كان هيكل فلاخيرنا أشهر وأعظم مقام مُكرَّس **لوالدة الإله** في القسطنطينيَّة، وقد بقي مُشْرِقًا ومُشِعًا باستمرار على العالم المسيحي بأسره.

أهمّ عناصر تاريخ هذا الهيكل وما مرَّ به من أحداث خلال الحقبة الروميَّة (البيزنطيّة)، هي التالية:

لقد قامت **الإمبراطورة بولخاريا** ببناء الهيكل بين عامي **٤٥٠** و**٤٥٣م**، وهو عام وفاتها، وقامت مع **الإمبراطور مركيانوس (٤٥٠–٤٥٧ م)** بتزيينه. لكن يبدو أن الهيكل قد اكتمل في عهد **لاون الأول (٤٥٧–٤٧٤م)** وازداد بهاؤه، لا سيّما بإنشاء «**الحمّام المقدَّس**» ومكان **الماء المقدَّس**. وفي تلك الفترة، تمَّ بناء الباراكليسي (الكنيسة الجانبيّة) الخاصّة بـ «**الرفات المقدّسة**»، من أجل استقبال **الأوموفورون والثوب المكرَّم لوالدة الإله**، اللذين نُقِلا من **فلسطين** سنة **٤٧٣ م**.

في تلك الفترة، أُهْدِيَ للهيكل عدد من الممتلكات المهمّة، وخصوصًا الأراضي الزراعيّة. ويُشير **بروكوبيوس (المؤرّخ البيزنطي الشهير)** إلى أنَّ **الإمبراطور يوستينيانوس**، خلال **عهد خاله يوستينوس الأول (٥١٨–٥٢٧م)**، قد عدَّل وأكمل البناء الأصلي. ومن خلال الوصف الذي يقدّمه، يبدو أنَّهُ في نمط البازيليك (الكنيسة المستطيلة)، قد أُقيم قُبّة، مستندة إلى نصف دائرة شكّلتها الأعمدة.

ملحوظة: « **الذي أقام القبة هو الإمبراطور يوستينيانوس، وذلك في زمن حكم خاله يوستينوس الأول. يوستينيانوس، قبل أن يصير إمبراطورًا، كان يُشرف على المشاريع المعماريَّة الكبرى. وقد قام بتعديل وتكميل الهيكل الأصلي لكنيسة فلاخيرنا. ومن ضمن التعديلات: إضافة قبة على طراز كنائس الشرق، رغم أن البناء كان في الأصل بازيليكيًا مستطيلًا.**»

وقد ذُكرت هذه الترميمات التي جرت في عهد **يوستينوس الأول** أيضًا في قصيدتين من «**الأنثولوجيا البالاتينيَّة**»* . (**أنظر التفسير آخر المقال**).

لقد ساعد **العديد من الأباطرة**، عبر العصور، ومن منطلق اهتمام شخصي، في إعادة تنظيم **كنيسة فلاخيرنا**، من خلال تبرّعات متنوّعة.

وتنكشف حجم الاحتياجات الطقسيّة للهيكل من خلال إحدى «**القوانين الجديدة**» **للإمبراطور هيراقليوس**، والتي تُحدّد الكادر الكهنوتي والإداري كما يلي:

١٢ كاهنًا، ١٨ شماسًا، ٦ شمّاسات، ٨ شماسين فرعيين، ٢٠ قارئًا، ٤ مرتّلين، و**٦ حرّاس أبواب**، أي ما مجموعه **٧٤ شخصًا** في خدمة هذا المركز الديني الكبير المكرّس لتبجيل وتوقير **والدة الإله** في فلاخيرنا.

أمَّا **يوستينوس الثاني (٥٦٥–٥٧٨ م)**، فقد أضاف قوسين، مما زاد في إبراز شكل الصليب المعماري، بإضافة هذين القوسين في عهد **يوستينوس الثاني**، أصبح التخطيط المعماري لكنيسة فلاخيرنا يُبرز شكل الصليب بشكل أوضح، ماديًا ورمزيًا ولاهوتيًا. وفي مرحلة لاحقة، قام **رومانوس الثالث من آل أرْجيروس (١٠٢٨–١٠٣٤م)** بتزيين الأقواس الداخليَّة بالسّبائك الذهبيَّة والفضيَّة.

ينبغي التشديد على الدور الذي أدَّتهُ كنيسة **والدة الإله** في فلاخيرنا خلال فترة **محاربة الأيقونات**، وبشكل خاص في **عهد قسطنطين الخامس**. ولأنّها كانت **مركزًا روحيًّا للرُّوم الأرثوذكس**، موازيًا **لكنيسة آيا صوفيا؛ (على سبيل المثال، كانت تُقام كل يوم جمعة سهرانيّات طوال الليل مكرّسة للأيقونة العجائبيّة لوالدة الإله)**، فقد تمَّ تدمير البرنامج التصويري (الأيقوني) – أي تمّ محو وإزالة الأيقونات التي كانت مرتبة وفقًا للاهوت الأرثوذكسي داخل الكنيسة، نتيجة سياسة **محاربة الأيقونات**.

ملحوظة: ما هو «البرنامج التصويري»؟: هو الترتيب الكامل للأيقونات والزخارف الجدارية في الكنيسة، بحسب اللاهوت الأرثوذكسي، ويُعرف باليونانية بـ: **Εικονογραφικό πρόγραμμα** أيكونوغرافيكو بروغراما أي: «**البرنامج الأيقوني**» أو «**مخطّط الأيقونات**». هذا البرنامج لا يكون عشوائيًا، بل له ترتيب محدَّد:

- **في القبة:** إيقونة **المسيح الضابط الكلّ** (Παντοκράτωρ)
- **في الحَنية: والدة الإله**، غالبًا على العرش.
- **على الجدران:** مشاهد من حياة **المسيح**، **العذراء**، **أو القديسين**.

كما تُخبرنا بذلك إحدى المصادر المعاصرة تقريبًا، وهي «**سيرة القديس**

استفانوس الجديد»، والتي كُتبت عام ٨٠٨ م. **قام محاربو الأيقونات باستبدال إيقونات المسيح، ووالدة الإله، والقديسين**، بمشاهد لأشجار وطيور ووحوش. **ويصف أحد المصادر، في اقتباس لاذع:**

« أمَّا **الإمبراطور الهرطوقي**، فبعد أن **دَنَّسَ الهيكل الموقَّر لوالدة الإله الطاهرة** في فلاخيرنا، ذلك الهيكل الذي كان مزيَّنًا من الداخل بأيقوناتٍ تمثِّل تنازل الله من أجلنا، حتى عجائبه المتنوّعة، وصعوده الإلهي، وانحدار **الرُّوح القُدُس**، وقد أزال كل أسرار **المسيح** تلك التي كانت تُصوَّر بأسلوبٍ أيقونيٍّ، وجعل الكنيسة أشبه **بمخزنٍ للثمار ومرصدٍ للطيور!** إذ ملأها بصورٍ من الأشجار، وطيور شتَّى، ووحوش، وبأنواع أخرى من الحيوانات التي تُرسم عادةً مثل الكروم والتنانين والطواويس، والطيهوج (وهو ذكر طائر الحجل أو نوع من طيور الدرّاج التي تُشبِه الدجاج البري، ويتميّز بمنظر ملوكي وألوان زاهية.) ، **فحوّلها، والحقُّ يُقال، إلى مشهدٍ عشوائي.**».

في تلك الفترة، **اختفت أو فُقدت** الأيقونة الخشبيّة العجائبيَّة المزيّنة بالفضّة والذهب، والمحفوظة في ذاكرة التاريخ، والمكرَّسة **لوالدة الإله**. وبحسب التقليد، **أُعيد العثور عليها سنة ١٠٣٠ م**، حيث كانت مخبّأة داخل أحد الجدران، وذلك أثناء أعمال الترميم التي جرت في عهد **رومانوس الثالث من آل أرْجيروس.**

كان قد نشأ آنذاك طرازٌ خاص من أيقونة **والدة الإله**، المعروفة باسم «**الفلاخيرنيتيسا**»، وقد انتشر هذا الطراز عبر نُسَخ إلى مختلف أنحاء العالم المسيحي. في هذه الأيقونة، تُصوَّر **والدة الإله** بهيئة كاملة، من الأمام، ويداها مرفوعتان نحو السماء. وعلى صدرها، داخل دائرة زخرفيّة (مدالية)، يظهر **المسيح** وهو يبارك. وترتبط بأيقونة «**الفلاخيرنيتيسا**» أيضًا الأعجوبة المعروفة بـ«**تحرّك الحجاب**»: فإن الحجاب أو الستر الموضوع على وجه العذراء في الأيقونة – والمعلّق في الكنيسة – كان يرتفع من تلقاء نفسه في أوقات محدّدة، عادةً خلال الصلوات أو الاحتفالات الليتورجيَّة، ليكشف **وجه والدة الإله**، ثم ينخفض ثانية بطريقة عجائبية، بحسب ما تشهد به **آنا كومنينه (الأميرة البيزنطيَّة والمؤرخة في القرن ١١–١٢)**. فكتبت في **الأليكسيادا (Alexiad)** : أنَّ الحجاب كان «يرتفع من دون أن تلمسه يد، ويكشف الوجه المقدّس للعذراء في لحظات مقدّسة».

بعض المعلومات التاريخيَّة الإضافيَّة تُعتبَر ذات أهميّة أيضًا. ففي **عام ١٠٧٠م**، احترقت الكنيسة بسبب حريقٍ، ولكن بدعم من **الإمبراطورين رومانوس الرابع ديوجينيس (١٠٦٧–١٠٧١م) وميخائيل السابع دوكاس (١٠٧١–١٠٧٨م)**، أُعيد بناؤها. لكنّ المجمَّع الكنسيّ بأكمله احترق في النهاية **سنة ١٤٣٤ م**، قبل فترة وجيزة من **سقوط القسطنطينيَّة**، «على يد بعض أبناء النبلاء الذين أرادوا الإمساك ببعض فراخ الحمام» **(بحسب غيورغيوس فرانتزيس)**، إذ صعدوا إلى السطح، وتسبّبوا بالحريق **دون قصد.**

أشهر وأعظم حدث مرتبط **بكنيسة فلاخيرنا** هو **خلاص المدينة عام ٦٢٦ م**، عندما **حوصرت من قبل جيوش الآفار**. فقد **حُملت أيقونة الفلاخيرنيتيسا** في زياح على الأسوار بواسطة **ابن الإمبراطور هيراقليوس** الذي كان منهمكًا بالحروب، وبمعيّة **البطريرك سرجيوس (٦١٠–٦٣٨ م) والشعب**. (تأكيد على أنَّ من قاد الزياح لم يكن الإمبراطور نفسه، بل **ابنه والبطريرك**، في وقت كان الملك بعيدًا، **ولكن العذراء كانت حاضرة.**) وقد فُكَّ الحصار، ونجت المدينة، ونُسب الخلاص إلى **والدة الإله**. وانطلق الشعب بأكمله مع **الأيقونة** إلى الكنيسة التاريخيّة، حيث أقاموا سهرانيّة وهم يرتّلون «**المديح الذي لا يُجلس فيه الأكاثيستوس**».

في **عام ٨٤٣ م**، ومع نهاية **هرطقة محاربة الأيقونات**، انطلقت من **كنيسة فلاخيرنا** احتفاليّة «**أحد الأرثوذكسيّة**»، التي أُقرَّت كتذكار **لانتصار الأيقونات**. وبحسب التقليد، في **عام ٩٤٤م**، وُضعت في الباراكليسي (الكنيسة الجانبيّة) للهيكل، أيقونة **المسيح** ورسالة الملك أبغار (أبجر)، اللتين جُلبتا من إديسا.

بعد **عام ١٢٠٤م**، **استولى اللاتين** على **كنيسة فلاخيرنا**، وظلّت تحت سيطرتهم حتى قام **الإمبراطور يوحنا الثالث دوكاس فاتاتزيس (١٢٢٢–١٢٥٤ م)** بشرائها من **الكاثوليك**، كما فعل مع العديد من الأديرة في المدينة. وفي **عام ١٣٤٨م**، تسبّب **قراصنة جنويّون (من جنوة)** في أضرارٍ لبيت الهيكل، بواسطة آلات الحصار التي استخدموها.

بحسب الشهادات التي وصلتنا، كان **هيكل فلاخيرنا** قائمًا بجوار **القرن الذهبي**، خارج أسوار المدينة. (**القرن الذهبي هو ذراع بحري يشبه الخليج، يشكّل مرفأ طبيعيًا في قلب القسطنطينيَّة، وكانت كنيسة فلاخيرنا مشيّدة في أقصى طرفه الشمالي، حيث تلتقي الأرض بالمياه، والقداسة بالتاريخ.**)، ولأجل حمايته، أقام **الإمبراطور هيراقليوس** سورًا حول الموقع. وعندما أُسّس لاحقًا «**قصر فلاخيرنا**» على منحدر التل فوق الكنيسة، أصبح القصر والكنيسة مرتبطين بسُلّم وباب خاص. وكان **الأباطرة** غالبًا ما يشاركون في الخدم الليتورجيّة، ويُظهرون اهتمامًا خاصًّا بكنيسة **والدة الإله**، معبّرين عن إيمانهم واحترامهم لها بكل وسيلة. ومن المعروف أيضًا أنهم كانوا يحملون معهم في الحملات العسكريّة نسخة من **أيقونة الفلاخيرنيتيسا**. كما تمَّ حفظ العديد من الأختام التي تحمل صورتها. ومنذ عهد **البطريرك تيموثاوس (٥١١–٥١٨ م)**، تم تثبيت الاحتفال بها، أي **الزياح** الذي كان يُقام كل يوم جمعة مع أيقونة **والدة الإله**، في **كنيسة «خلكوبراتيون»**.

وقد كانت بعض الأعياد ذات طابع رسمي مهيب، مثل: **عيد الدخول إلى الهيكل (٢ شباط)، أحد الأرثوذكسيّة، الجمعة العظيمة، الثلاثاء من أسبوع الفصح، وضع الثوب المقدّس للعذراء (٢ تموز)، تدشين الكنيسة (٣١ تموز)، ذكرى الخلاص من غزو الآفار والفرس (٧ آب)، رقاد والدة الإله وانتقالها الى السماء (١٥ آب)، وذكرى الزلزال الرهيب سنة ٧٤٠ م (٢٦ تشرين الأول).**

كان الهيكل في فلاخيرنا ، أو كما يُسمّيه الكتّاب «**الهيكل العظيم**»، يَتَكَوَّن من ثلاثة أبنية: الكنيسة المركزيّة، الباراكليسي (الكنيسة الجانبيّة) الخاصّة بالذخائر المقدّسة، و«بيت الغُسل المقدّس» (اللُّوسما).

كانت الكنيسة مبنيّة على طراز البازيليكا ذات السقف الخشبي ذي الثلاث بلاطات، تمامًا كما هو الحال في كنيسة **والدة الإله** في خلكوبراتيون، ودير ستوديوس. ويبدو أنّها أُعيد بناؤها على هذا النمط

نفسه بعد حريق عام ١٠٧٠ م. أمَّا من الداخل، فقد كانت الجدران مُغطاة بكسوة رخاميّة ملوّنة تصل حتى منتصف الجدار أو الحائط، مع أعمدة من اليَشب الأخضر، وسقف مصنَّع بإتقان مزيَّن بالذهب والفضّة. وفوق **الكسوة** الرخاميَّة، كانت الجدران مزدانة بلوحات جداريّة وفسيفساء تُصوّر مشاهد من حياة المسيح (الدورة الكريستولوجيّة). وكان المنبر، الموجود في وسط بلاط الكنيسة الأوسط، مصنوعًا بأكمله من الفضّة. وكان الأيقونسطاس أيضًا مهيبًا ورائعًا. وقد وصلتنا معلومات حول زخرفة الكنيسة المدهشة من **الرحالة كلافيخو**، الذي زار فلاخيرنا عام ١٤٠٢، وكذلك من **إيسيدور الكييفي** (١٣٨٥–١٤٦٣) في رثائه **لانهيار** هذا الهيكل المتألّق.

كان الباراكليسي الخاص بالذخائر، المعروف أيضًا باسم مُصلَّى «**الرفات المقدّسة**»، بناءً دائري الشكل ذو رواق (نارتكس)، يقع إلى الجنوب من هيكل الكنيسة. وكان يشمل: **الذخائر المقدسة، «الأوموفوريون» الخاص بالعذراء، وحجابها، والحزام المكرَّم (الزنار المقدّس)**. وقد وصف الحُجّاج الرُّوس في القرنين الرابع عشر والخامس عشر هذه الذخائر، وذكروا وجود رفات العديد من القديسين، مثل: **باتابيوس، أثناسيوس، بنديليوندوس، وأناستاسيا**.

«اللُّوسِما»: كان «**اللُّوسِما**» مقسومًا إلى ثلاثة أقسام: **مخزن الملابس** – «مكان خلع الثياب»، **الحوض** – «المسبح»، و«**القديس فوتينوس**». وكان متصلًا بالباراكليسي.

كان **اللوسِما** مغطًّى بقبة، وجُدرانه **مزدانة بالأيقونات**، وفي حنيَّة مخصّصة كانت توضع أيقونة **والدة الإله**. وكان الحوض، الذي كان ينزل فيه **الإمبراطور** كل يوم جمعة ويغتسل، موجودًا في وسط القاعة. وقد قدّمت المصادر وصفًا تفصيليًّا لطقس الدخول إلى اللوسما والإجراءات التي كانت تُتّبع حتى نيل ماء التقديس (الآغيازما): «...ثم يدخلون أخيرًا إلى قسم «**القديس فوتينوس**»، إلى القبة الداخلية، ويُشعلون الشموع أمام الأيقونة الرخاميَّة **لوالدة الإله**، والتي يتدفّق ماء التقديس من يديها».

بعد حريق عام ١٤٣٤م وسقوط المدينة، انهار كل شيء وأصبحت المنطقة مهجورة. اختفت شهرة الكنيسة وغناها. ولم يبقَ منها سوى **موضع ماء التقديس (الآغيازما)**. وقد انتقلت المنطقة إلى **أيدي العثمانيين** حتى عام ١٨٦٧م، حين اشتراها **اتحاد اليونان الأرثوذكس** العاملين في تجارة الفراء، والذين شيَّدوا فوق **الآغيازما** كنيسة صغيرة (**نيسكوس**). ومع مرور الوقت، وبفضل رعاية البطريركيَّة المسكونيّة، أُضيفت مبانٍ جديدة، واكتسب المكان المقدّس القديم، المسوَّر، الشكل الذي نراه اليوم، مع **الآغيازما** كنقطة مرجعيَّة مركزيَّة. أمَّا اللوحات الجدارية الأربع، التي **رسمها الفنان إيرينارخوس كوفاس** فوق **الآغيازما عام ١٩٦٤م**، فتُشكّل ذكرى لمشاعر روحيَّة مقدّسة ولحظات عظيمة من **تاريخ الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة**.

قد تكشف التنقيبات الأثريَّة المستقبليَّة في المحيط الأوسع **لكنيسة والدة الإله في فلاخيرنا عن بقايا الهيكل البيزنطي العظيم**.

*ما هي «الأنثولوجيا البالاتينيَّة»؟: هي مجموعة ضخمة من القصائد اليونانيَّة الكلاسيكيَّة والبيزنطيَّة، تُعرف بالاسم اليوناني:

Ἀνθολογία Παλατίνη (Anthologia Palatina) وتُترجم إلى العربية بـ: «الأنثولوجيا البالاتينيَّة» أو «مختارات القصر الإمبراطوري».

أصلها ومحتواها: تعني كلمة «أنثولوجيا»: مجموعة مختارة من الشعر. سُمّيت «بالاتينيَّة» نسبةً إلى المخطوطة الأهم التي اكتُشفت في **مكتبة قصر هايدلبرغ (في ألمانيا)**، وتعود إلى القرن العاشر الميلادي.

تحتوي على: حوالي ٣٧٠٠ قصيدة يونانيَّة. تنتمي إلى فترات مختلفة: من العصر الهيليني إلى العصر البيزنطي. كثير منها أناشيد دينية، ومدائح، وشواهد تاريخية.

ما علاقتها بكنيسة فلاخيرنا؟: تُشير العبارة في النص إلى أنّ قصيدتين من هذه الأنثولوجيا تتحدّثان عن الترميمات التي حصلت في كنيسة فلاخيرنا في **عهد يوستينوس الأول (٥٢٧–٥١٨م)**. هي شاهد شعري وأدبيّ يُضيف بُعدًا تاريخيًّا لما ورد عند **المؤرخ بروكوبيوس**.

ملاحظات إضافية: تعتبر **الأنثولوجيا البالاتينيَّة** مصدرًا أدبيًا مهمًّا للتاريخ البيزنطي الكنسي. القصائد أحيانًا تكون مديحًا إمبراطوريًا، وأحيانًا وصفًا معماريا شعريًا. حتى لو لم تذكر الأحداث بشكل مباشر، فهي تحمل إشارات رمزيّة ثمينة.

الحدث الأشهر والأهمّ يرتبط مباشرة بخلاص القسطنطينيّة عام 626 م، حين حوصرت من قِبل جيوش الأفار. فقد أُقيمت زِياحة بأيقونة «السيِّدة الفلاخيرنيّة» على أسوار المدينة، على يَدِ ابن الإمبراطور هيراقليوس (هرقل) الذي كان غائبًا في حملة عسكرية ضد الفرس، بمشاركة البطريرك سيرجيوس (610–638 م) والشعب. وقد رُفع الحصار، ونجت المدينة، ونُسِب الخلاص إلى شفاعة والدة الإله.

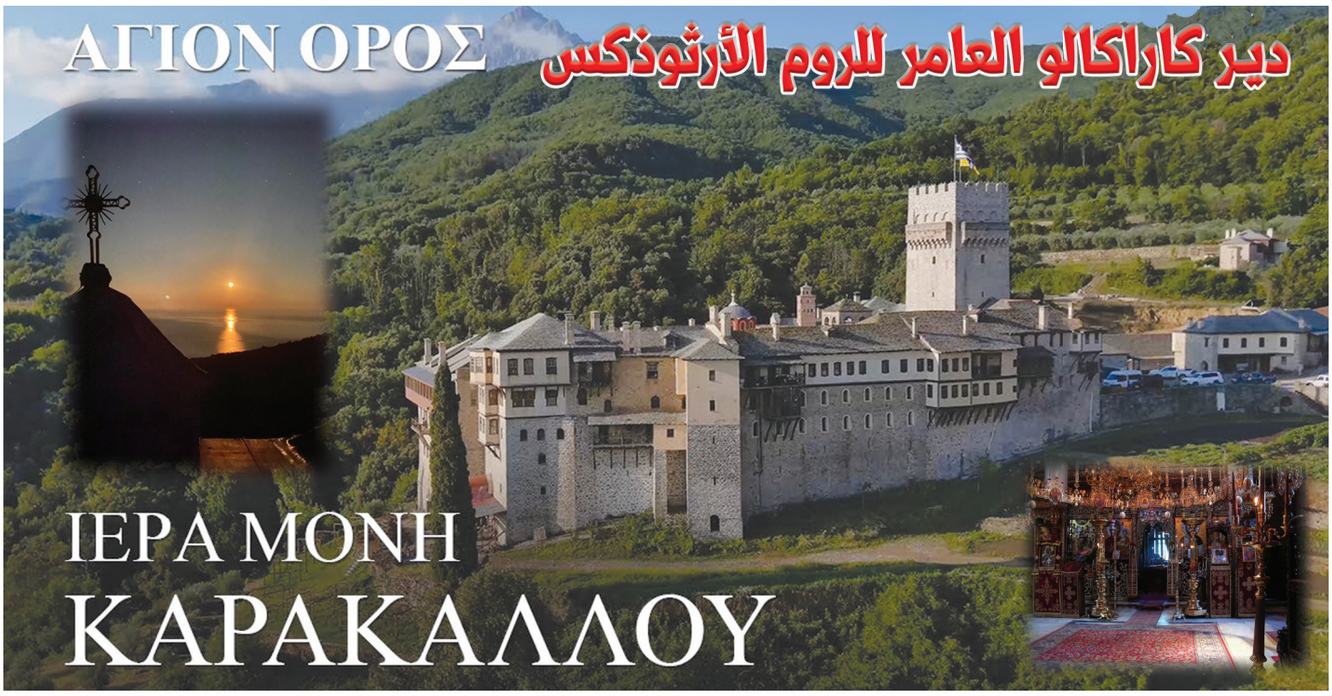

دير كاراكالو العامر للروم الأرثوذكس

الموقع :

يقع **دير كاراكالّو المقدَّس** على ارتفاع ٢٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر، مُشيَّدًا على منحدرٍ مكشوفٍ ومكسوٍّ بالخضرة، في سفحٍ شديد الانحدار، على الجهة الشماليَّة الشرقيَّة من شبه جزيرة جبل آثوس. يبعد نصف ساعة إلى الشرق من **دير فيلوثيو**، كما أنه يقع على المسافة نفسها تقريبًا من البحر. ويحتل المرتبة الحادية عشرة في التسلسل الهرمي **للأديرة العشرين في جبل آثوس**.

تأسَّس **دير كاراكالّو** خلال الخمسين سنة الأولى تقريبًا من ظهور الحياة الرهبانيَّة المنظّمة في **جبل آثوس**، ويتزامن تأسيسه مع وجود **القدّيس أثناسيوس الآثوسي**.

من المرجَّح أنَّ تسمية الدير تعود إلى صفة نَسَبِيَّة مؤسِّسه، وهي فرضِيَّة طرحها البطريرك فيلوثاوس كوكينوس في القرن الرابع عشر.

ومع ذلك، تبقى هذه الفرضيَّة قابلة للتشكيك، إذ إنَّ لقب «**كاراكالوس**» لم يُعرف لدينا إلَّا في أواخر القرن الثالث عشر.

الوجود التاريخي للدير:

تُستدلّ على وجود **دير كاراكالّو** في القرن الحادي عشر من خلال وثيقة تعود إلى سنة ١٠١٨، محفوظة في أرشيف **دير ميغيستي لافرا**، حيث يُشار إلى الدير باسم «**كاراكالو**» أو «**كاراكالوس**».

ويظهر أيضًا الاسم «**ڤاسيل كاراكالاس**» في جزء من جِداريَّة غير مؤرَّخة. في المصادر الأرشيفيَّة التالية زمنيًّا، وحتى سنة ١١٤٢، يُذكر الاسم «**كاراكالو**»، لكن في تلك السنة نفسها، يظهر لأول مرة أيضًا باسم «**دير كاراكالا**». وحتى القرن الرابع عشر، كان يُشار إلى الدير بالصيغتين، لكن الاسم **كاراكالو** هو الذي ساد في النهاية.

الاعتراف الإمبراطوري ومكانة الدير:

نحو سنة ١٠٧٠، ومن خلال وثيقة إمبراطوريَّة صادرة عن **رومانوس الرابع ديوجينيس** (١٠٦٨–١٠٧١) – لم يبقَ منها سوى ختمها الإمبراطوري – يتبيّن أن **دير كاراكالو** كان من الأديرة المعترف بها رسميًا في **جبل آثوس**. فقد استدعت مكانته إصدار مرسوم إمبراطوري، كما كان يملك عددًا غير محدّد من الأملاك الملحقة (ميتوخيا) في مناطق متعددة من الإمبراطوريَّة.

الحملة الصليبيَّة الرابعة وأسر الرهبان:

مع **الحملة الصليبية الرابعة** سنة ١٢٠٤، تعرّضت أديرة شبه جزيرة آثوس، إلى جانب الضغوط الإدارية؛ التي مارسها الغزاة، للنهب والتخريب من قِبل **قراصنة لاتين**. أما في **دير كاراكالو** ، فإلى جانب **أعمال النهب**، **وقع رئيس الدير وجميع الرهبان** في الأسر، وتمّ شراؤهم وإطلاق سراحهم على يد **دير ميغيستي لافرا**. وقد جعل رئيس **دير ميغيستي لافرا**، **دير كاراكالو** تابعًا له (ميتوخي) مع جميع ممتلكاته، حتى يتمّ دفع مبلغ الفدية كاملًا. وفي النهاية، تمكّن **القديس سابا، رئيس أساقفة صربيا وأحد مؤسّسي دير خيلاندراي**، من جمع مبلغ الفدية، وأعاد إلى **دير كاراكالو** استقلاله.

التعافي والإحياء الإمبراطوري:

مع **نهاية الحكم اللاتيني** سنة ١٢٦١، بدأ الدير بالتعافي تدريجيًا. وتبدأ أسماء رؤساء الأديرة بالظهور من جديد في المصادر. لكن الازدهار الحقيقي بدأ في العقود الأخيرة من القرن الثالث عشر، وبلغ ذروته في عهد **الإمبراطور أندرونيكوس الثاني باليولوغوس**، الذي منح الدير سنة ١٢٩٤، عبر **مرسوم ذهبي**، امتيازات وأراضي، بهدف إعادة تنظيمه بعد **الغارات القرصنيَّة** التي شهدها في ذلك القرن.

ويُعدّ هذا المرسوم أول وثيقة محفوظة تُظهر بوضوح الوضع المالي والممتلكات للدير. وقد حافظ **حفيده يوحنا الخامس** على الموقف ذاته تجاه الدير. في السنوات التي تلت، شهد الدير ازدهارًا في عدد الرهبان وفي ممتلكاته، والتي ازدادت بشكل كبير خلال القرن الرابع عشر. وكان أوّل عقار حصل عليه خارج **جبل آثوس** قد قُدّم له كهبة سنة ١٣٣٨ من قِبل **والدة يوحنا كانتاكوزينوس**.

الازدهار الروحي والصلات السياسيَّة:

يرتبط ازدهار الدير في أواخر القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر بعلاقة خاصّة جمعته بالبطريرك المستقبلي أثناسيوس الأوّل، الذي كان في البداية راهبًا في هذا الدير، واشتهر بنسكه الشديد، وكان شخصية تمهيديّة **للحركة الهدوئيَّة**. وفي عهده، استقطب الدير عددًا كبيرًا من الرهبان المتعلّمين، من بينهم الراهب إسحق، الذي نسخ إنجيلًا فخمًا وأهداه للدير سنة ١٢٩٠. ويُعتبر أثناسيوس الأوّل وراء العديد من أشكال الدعم المالي الذي تلقّاه الدير من **حكّام شمال نهر الدانوب، أمثال أسترا، وهيراكيس، ويوحنا أونغليسيس، وأخيرًا الأمير ڤلاديسلاف حاكم الأفلاق** (جزء من رومانيا) (١٣٦٤–١٣٧٧).

كان **دير كاراكالّو** في حالة ازدهار عندما أُعلِن سنة ١٣٩٣ **كدير بطريركي ستافرونيكيّ**، وذلك على يد البطريرك أنطونيوس. وكان عدد رهبانه كبيرًا إلى درجة أن مباني الدير لم تكن تكفي لاستيعابهم، فتمّ تحويل جزء منهم إلى دير أليبيوس الصغير العدد، المعروف اليوم باسم قَلَايَة الرسل القدّيسين.

بداية الأزمة الماليَّة وضعف الوجود الرهباني:

منذ سنة ١٤٢٤، بدأت أزمة مالية في **جبل آثوس** نتيجة **فرض الضرائب وتصرّفات العثمانيين التعسفيَّة**. أمَّا المعلومات المتوفّرة حول الأعباء الضريبيَّة على **دير كاراكالو** فهي قليلة، لكن يبدو أنها لم تكن ثقيلة، إذ تُظهر الإحصائية العثمانيَّة لسنة ١٥٢٠ أن **دير كاراكالو** كان الأقل عددًا من حيث الرهبان بين **أديرة آثوس**.

مكانة مرموقة وعلاقات مؤثّرة ونسك قدّيس:

في أواخر القرن الخامس عشر، كانت مكانة **دير كاراكالو** في الهرميَّة الرهبانيَّة لشبه جزيرة آثوس عالية نسبيًا. (ففي «النظام الداخلي لجبل آثوس» الذي وضعه الإمبراطور مانوئيل باليولوغوس، تحتلّ كاراكالو المرتبة السادسة بين أديرة البروستاتو). وفي الفترة نفسها، كان للدير علاقات مع شخصيات بارزة من عصره، مثل **الحاكم يعقوب مالاسبينا**، أو متروبوليت تسالونيكي مكاريوس. وفي الوقت ذاته، أقام أحد أبرز نسّاك القرن السادس عشر، **القديس ديونيسيوس الأولمبي**، زمنًا من حياته النُسكيَّة في أطراف الدير، قبل انتخابه **رئيسًا لدير فيلوثايو**.

إعادة الترميم بمرسوم سلطاني وتدخل أمراء مولدوفلاخيا:

في سنة ١٥٣٥، وبوساطة من **أمراء مولدوفلاخيا**، أصدر **السلطان سليمان الأول** مرسومًا (فرمانًا)، اعترف فيه بأنَّ «الدير المذكور يحتاج إلى ترميم»، وسمح بإعادة ترميمه «على الأسُس القديمة»، مع حظرٍ صريح على بناء مبانٍ جديدة. وفي السنوات التالية، ما بين ١٥٤٨ و ١٥٦٣، صدرت رخصتان إضافيتان بخصوص إعادة بناء الكنيسة الكبرى (الكاثوليكون)، وقد أُجريت أيضًا معاينة ميدانية من قبل **موفدين عثمانيين**.

اشتمل البرنامج المعماري في القرن السادس عشر على **بناء المجمع الدفاعي للبرج في الأرساناس** (سنة ١٥٣٤) قرب البحر، وهو مشروع ضروري لمواجهة **الهجمات المتكرّرة من القراصنة**. وقد ورد في النقش الحجري المثبّت على البرج اسم المهندس: **سيروبولوس ديونيسيوس خاجيس**. ومن أعمال تلك الفترة أيضًا، إلى جانب وضع أساسات الكاثوليكون، ترميم القلالي وتجديدها.

فداء أراضي الدير بهِبة من رُوكساندرا وتبرّعات أخرى:

في سنة ١٥٦٩، دفعت الأميرة الأرثوذكسيَّة «رُوكساندرا»، أرملة **حاكم مولدافيا ألكسندروس لابوشنيانو**، **مبلغ ٣٥,٠٠٠ قطعة نقدية** (أسپرا)، من أجل استرجاع أراضي الدير التي كان **السلطان سليم الثاني** قد صادرها. كما قدَّم أمراء آخرون للدير عددًا من الأواني والقطع الثمينة كتبرّعات.

القرن الثامن عشر: ازدهار رهباني وفنّي مميّز:

في القرن الثامن عشر، شهد **دير كاراكالو** ازدهارًا خاصًّا. فقد أقام فيه عدد كبير من الرهبان، تزامنًا مع إضافات عمرانيَّة، وترميمات، وأعمال إعادة بناء، كما تمّ تنفيذ برامج تزيين جداري (أيقوني) واسعة. في سنة ١٧٠٧، تمّ ترميم الجناحين الشمالي والشرقي، حيث كان يقع بيت الضيافة، وذلك على نفقة الرئيس السابق ديونيسيوس الإيبيري، وبدعم من الرئيس السابق نوفيتوس. وفي سنة ١٧١٤، أُضيف إلى الكاثوليكون النارتكس (الرواق) وبرج الأجراس (الكودونستاسيو)، الذي تمّ فيه أيضًا تثبيت «**ساعة تدقّ الأجراس**». وفي سنة ١٧١٧، رُسم الهيكل الرئيسي للكاثوليكون على يد **الرسّام داماسكينوس**. وحوالي سنة ١٧٢٢، عمل في الدير **الرسّام ديونيسيوس من فورنا**. وفي سنة ١٧٥٠، تمّ تزيين الجهة الغربية (الليتي)، وفي سنة ١٧٦٧، النارتكس الخارجي. أمَّا سنة ١٧٦٨، فشهدت استكمال بناء وتزيين الكنيسة الجديدة الخاصة بالمقبرة على اسم «**جميع القديسين**».

في الإحصاء الذي أُجري سنة ١٨٠٨، تمّ تسجيل ٤٤ راهبًا مقيمًا في **دير كاراكالو**، إضافة إلى ٥٥ كليوتيًّا (رهبان يعيشون في قلالي خارج الدير تابعة له).

إلى المصادرة ثم إعادة البناء: القرن ١٩ في دير كاراكالو:

مع **اندلاع الثورة اليونانيَّة** سنة ١٨٢١ في منطقة مكدونيا، وما خلّفته من آثار سلبيّة على **جبل آثوس** بسبب **السلوك العدائي للجيش العثماني والضرائب الباهظة المفروضة** على الأديرة، لم يبقَ **دير كاراكالو** بمنأى عن هذه التداعيات، فقد تضرّر من الناحية الاقتصادية، وخسر قسمًا من رهبانه. لكن مع انسحاب **الجيش العثماني** من **جبل آثوس** سنة ١٨٣٠، استعاد الدير اتصاله بمتوخيّاته، فتحسّنت أوضاعه المالية، وازداد عدد رهبانه. غير أنه، حوالي سنة ١٨٣٥، اضطر إلى رهن بعض الأواني الكنسية والمقتنيات الثمينة بسبب الديون. ومنذ منتصف القرن التاسع عشر، بدأت تظهر مشكلات كبرى تتعلق بملكيّة الأراضي الرهبانيَّة. وقد تضرّر الدير أيضًا من قرار الحكومة في رومانيا سنة ١٨٦٣ بمصادرة جميع المتوخيّات، بما في ذلك أملاك **كاراكالو** (١).

ومع ذلك، فقد جرت بعد حريق سنة ١٨٧٤ أعمال إعادة بناء شملت «التراپيزا» (قاعة الطعام)، وبيت الضيافة، وجزءًا من الجناح الشرقي.

الحياة المشتركة والقيادة المعاصرة والتوثيق التاريخي:

يُدار **دير كاراكالو** بنظام الحياة المشتركة (كيونوفياسيَّة) منذ سنة ١٨١٣، وذلك بناءً على مرسوم (سِغِيلْيون) أصدره البطريرك كيريلُّوس السادس، وكان رئيس الدير آنذاك الأرشمندريت نكتاريوس. ومنذ سنة ١٩٨٢، يرأس الدير الأرشمندريت فيلوثيوس (**يبلغ من العمر اليوم ٩٠ عامًا**)، في أخويّة تضمّ حوالي ثلاثين راهبًا. وقد أعدّ **المؤرّخ كريتُون خريسوخوئيديس** رسمًا تاريخيًا دقيقًا للدير، نُشر ضمن مجلّد بعنوان «**أيقونات دير كاراكالو**»، صدر عن الدير سنة ٢٠١١.

سكيفوفيلاكيون دير كاراكالو:

يقع سكيفوفيلاكيون دير كاراكالو (مستودع الكنوز المقدسة) في الطابق العلوي، فوق النارتكس الخارجي للكاثوليكون. ويُحفظ فيه مجموعة من الثياب الكهنوتيَّة المقدسة، والأواني الطقسيَّة، وغيرها من القطع ذات القيمة التاريخيَّة والفنيَّة.

الإيكونوفيلاكيون في دير كاراكالو:

يُشترك في استخدام الإيكونوفيلاكيون (مستودع الأيقونات) مع المكتبة، ويقع في الطابق الأرضي من الجناح الشرقي. من بين مجموعة الأيقونات الليتورجيَّة الخاصة بالكاثوليكون، تحتل مكانة بارزة أيقونة «**الرسل القديسين**»، وهي عمل فني رفيع المستوى، رسمها الفنان الشهير ديونيسيوس من فورنا سنة ١٧٢٢. وتتواجد هذه الأيقونة على الأيقونسطاس في الكاثوليكون. كما تُعدّ أيضًا مميّزة **أيقونة عناق القديسين بطرس وبولس**، وهي من رسم قسطنطين بالايوكاباس، واستوحيَت من نموذج يعود إلى القرن السادس عشر، وتؤرَّخ إلى سنة ١٦٤٠.

تدلّ الشهادات التاريخية على أنَّ مطران تسالونيكي المتعلّم، مكاريوس، قد مرَّ في وقت ما **بدير كاراكالو**، وقد سيمَ راهبًا لاحقًا باسم «ميخائيل»، وتوفّي في **دير فاتوپيدي** سنة ١٥٤٦. ويشهد على زيارته للدير وجود عدد من المخطوطات النفيسة التي كان قد أهداها إلى مكتبة الدير، مما جعل **دير كاراكالو** يحتفظ بجزء من مجموعته الباهرة من المخطوطات.

الأرشيف:

فيما يخصُّ أرشيف **دير كاراكالو**،ي ذكر أمين المكتبة الأرشمندريت فيليپّوس، في مذكرة له إلى «**حول المكتبات**»، ما يلي:

«يحتوي أرشيف المكتبة على بضعة عشرات من الكوديكات الأرشيفيَّة، وآلاف الوثائق المفكّكة (غير المجلّدة)، معظمها يعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

أمَّا الوثائق الروميَّة (البيزنطيَّة) وما بعد الروميَّة (البيزنطيَّة)، حتى سنة ١٨٠٠، فقد تمّت دراستها من قبل باحثين متخصصين، وتوجد بعض الإصدارات الأكاديميَّة الخاصة بها. غير أنَّ كامل الأرشيف لا يزال مفهرسًا ومُرقمنًا جزئيًّا فقط.»

المخطوطات في مكتبة دير كاراكالو – تقرير لغاية عام ٢٠٢١:

يذكر أمين مكتبة **دير كاراكالو** ما يلي: «تحتوي مكتبة الدير على ٥٥٦ مخطوطة، منها ٤٥ مكتوبة على الرقّ و٦ على ورق بومبيكي (حرير صيني). من الناحية الزمنية، تعود ١١١ مخطوطة إلى ما قبل سنة ١٥٠٠، و٢١٦ حتى سنة ١٨٠٠، والباقي حتى القرن العشرين.

أقدم المخطوطات هي:

إنجيليٌّ وسيرة شيوخ (γεροντικόν) من القرن التاسع، مكتوبتان بخطّ كبير قديم. من حيث المحتوى، وضمن ٣٤١ مخطوطة أقدم (تمّت معالجتها بالتصوير المصغّر في مدينة تسالونيكي في «المؤسسة البطريركيَّة للأبحاث الآبائيَّة» التي تقع في دير ڤلاتاذون منذ السبعينيّات):

٣٤ مخطوطة تحتوي على: أناجيل، ورسائل (Απόστολοι)، ومزامير.

٢٩ مخطوطة موسيقيَّة روميَّة (بيزنطيَّة).

٥٥ مخطوطة كهنوتيَّة: (رئاسة كهنوت، كهنوتيّات، كتب صلوات).

٨٨ مخطوطة طقسيَّة: (الميناون، باراكليسيات، خدمات القديسين).

٦١ مخطوطة تحتوي على عظات آباء وقدّيسين: (أعمال آبائيّة، سير شيوخ، عِظات لأيام الآحاد...).

١٨ تحتوي على سير القديسين.

١٣ مخطوطة متنوعة (سيميكتي) (Σύμμεικτοι).

٤٦ أخرى متنوّعة: (قانونيَّات كنسيَّة، قواعد لغويَّة، طقوسيَّات، إلخ...). وقد أُعدَّ فهرس تحليلي كامل لجميع هذه المخطوطات في الفترة بين **٢٠١٥-٢٠١٩**. كما يوجد فهرس رقمي حديث.

وحتّى اليوم (أيار ٢٠٢١)، تمّ رقمنة ٢٢٨ مخطوطة، والتي تشمل نحو **٥٠٪** من مجموع الصفحات، ولا تزال عمليّة الرقمنة مستمرّة.»

---

١) تفسير: «وقد تضرّر الدير أيضًا **من قرار الحكومة الرومانيَّة** سنة 1863 بمصادرة جميع المتوخيّات»

المقصود بـ «الحكومة الرومانيَّة» هنا هو حكومة رومانيا الحديثة الناشئة، وتحديدًا مملكة رومانيا التي بدأت خطوات الاستقلال عن السيطرة العثمانيَّة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

سنة 1863، أصدر **ألكسندر يوحنا كوزا** ***(Alexandru Ioan Cuza)***، حاكم رومانيا الموحّدة، مرسومًا بمصادرة أراضي وممتلكات الأديرة التي كانت تابعة لدير الآثوس (وغيرها من الأديرة خارج البلاد)، بدعوى أنّها كانت تُدار من الخارج ولا تعود فائدتها على الدولة أو الشعب.

ما هي "المتوخيّات"؟

المتوخيّات (μετόχια): هي ممتلكات زراعية أو عقارية تابعة للأديرة خارج حدود جبل آثوس، خصوصًا في الأراضي الرومانية (مولدافيا ووالاشيا). كانت تُستخدم لدعم الرهبان ماديًا، يديرها بعض الرهبان. لا علاقة لـ الدولة الرومانيَّة القديمة (الإمبراطورية الرومانيَّة) بالموضوع. بل المقصود هو الحكومة الرومانيَّة الحديثة في القرن التاسع عشر، أو: «**الحكومة في رومانيا**» أو «**الحكومة الرومانية الحديثة**» لتفادي أي لبس تاريخي.

Σπάνια κειμήλια της Ιεράς Μονής Καρακάλλου

ذخائر مقدَّسة نادرة ـ دير كاراكالُّو العامر والمقدَّس

1) ذخيرة للصليب الكريم المحيي
2) ذخائر للقديس يوحنا المعمدان
3) ذخيرة للقديس بولس الرسول
4) ذخيرة للقديس بطرس الرسول
5) ذخيرة (هامة) للرسول بارثلميوس
6) ذخيرة (هامة) القديس خريستوفورس
7) ذخيرة للقديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس
8) ذخيرة (اليد اليمنى) للقديس جدعون من دير كاركالُّو
9) ذخيرة (اليد اليمنى) للقديس ثيوذورس قائد الجيش
10) ذخائر للقديس خرَلامبوس

«فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أُشَبِّهُهُ بِرَجُلٍ عَاقِلٍ، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ.» (مت ٧: ٢٤)

ما هي قُوة الفضيلة إذًا؟

إنَّها العيش بثبات، فلا تتغلَّب علينا الشدائد بسهولة. ونسمو نحن على كُلِّ مُضايقينا.

فأيُّ شيء يعادل ذلك الحال؟!

اللابس التَّاج الملوكي لا يستطيع أنْ يضمن ذلك لنفسه، بل من يتبع طريق الفضيلة، فهو يصل إلى توازن كبير، وفي أمواج الظروف العاتية يَعبُر وكأنَّه في بحرٍ هادئ. وهذا مُذهل إذْ إنَّ ذلك لا يكون في الطقس الجيِّد، بل عندما تصفع المؤمن ريح عاصفة، وتشتدُّ عليه الاضطرابات وتتوالى التجارب، فأنَّهُ لا يهتزُّ ولا يرتجف.

إذ يقول السيِّد **المسيح**: «فَنَزَلَ الْمَطَرُ، وَجَاءَتِ الأَنْهَارُ، وَهَبَّتِ الرِّيَاحُ، وَوَقَعَتْ عَلَى ذلِكَ الْبَيْتِ فَلَمْ يَسْقُطْ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ.» (مت ٧: ٢٥).

مجازيًّا المطر هُنا والأنهار والرياح هي **الكوارث والضيقات البشريَّة، كالوقيعة والمؤامرات والأحزان، والميتات الفجائيَّة، وفُقدان أهل البيت، ومُضايقات الغرباء، وكُلُّ الشُرور في حياتنا التي يمكن ذكرها.**

يقول **يسوع**: أنَّ نفسًا كهذه لا تتأثَّر بأيٍّ من هذه الأمور. والسبب هو أنَّ النفس **مؤسَّسة على الصخر**. ويدعو الثبات «**صخرة**» لأنَّ أوامره ووصاياه هي في الحقيقة أقوى من كُلِّ صخرة. ، إذْ تضع الإنسان فوق أمواج الأمور البشريَّة كُلِّها. فمن حَفَظ هذه الأمور بدقة يُقاوِم، لا الذين يُزعجونه فحسب، بل **الشياطين المتآمرين** عليه أيضًا.

والرُسل هم شهودنا على ذلك، لأنَّهم حين ضَرَبَتْهِم كُلُّ أمواج العالم، **ووقفت ضدَّهم كُلُّ الأمم والحكَّام، وشعبهم أيضًا والغُرباء، والأرواح الشريرة والشَّيطان**، وقفوا راسخين أقوى منَ الصخرة، فبدَّدوا كُلَّ الاضطرابات. وكانت حياتهم أسعد من حياة الآخرين. فلا الثروة ولا قوة البدن ولا المجد ولا السلطان ولا أي شيء آخر يمكنه أنْ يوفِّر لنا الآمان، إنما الذي يوفِّره هو إمتلاك الفضيلة. لأنَّهُ ما من حياة أبدًا تخلُو من كُلِّ الشُّرور، وأنتم شهودٌ وترون المؤامرات في قصور الملك، والضيقات والمتاعب في بيوت الأغنياء، لكن شيئًا من هذا لا تجدونه بين الرُسل. ماذا إذن؟ ألم يُعانوا هُم من شرور على أيدي الناس؟ **بلى،** لقد عانوا من أبشع المؤامرات، واجهوا أشَدَّ العواصف التي انفجرت في وجوههم، لكن أرواحهم لم تنهزم أبدًا، ولا أصابهم اليأس، بل صارعوا بأجساد عارية وانتشرت كرازتهم وانتصروا.

وكذلك أنتم بالمثل، إنْ أردتم تحقيق هذه الأمور، فسوف تضحكون على كُلِّ المتاعب وتزدرون بها. **أَجَلْ**، لأنَّكم إنْ تَقوَّمتم فقط بهذه الفلسفة لن يؤذيكم شيء، ولن يقدر عليكم من يحيك ضدَّكم المؤامرات.

هل سيسلب أحدٌ أموالكم؟ حسنًا، لكن قبل أنْ يُهدِّدكم **فإنَّ الرَّبَّ** أمركم أنْ تحتقروا المال، وأنْ تتعَفَّفُوا عنه تمامًا. وفي نفس الوقت لا تظُنُّوا أنَّ هذا الأمر مِنْ تدبير ربكم.

فهل يرمونكم في السجن؟ ألم يأمركم أنْ تحيُوا هكذا. وأنْ تُصلَوا عن العالم.

فهل يتكلمون عنكم بالشر؟ قد **خلصكم المسيح** من هذا الأ لم أيضًا، بِوَعْدِهِ لكم بمكافآت عظيمة إذا احتملتم الشَّر. وقد حرَّركم من الغضب والاضطراب الناجم عنه.

فهل ينفيكم أحدٌ ويسبب لكم متاعب جمة؟ حسنًا، فإنَّ الرَّبَّ يجعل إكليلكم أكثر مجدًا.

فهل يدمركم ويقتلكم؟ حتى وإنْ فعل هذا فإنَّهُ ينفعكم نفعًا كبيرًا. إذْ تنهال عليكم أكاليل الشَّهادة، وتبلغون السماء في منتهى السرعة بلا تعب، وتتوفَّر لكم أعظم فرص المجازاة الوفيرة والغِنَى .. والأمر الأكثر عَجَبًا مِنْ كُلِّ ما سبق، أنَّ كُلَّ المتآمرين ضِدَّكم، إذ لا يقدرون إلحاق الضرر بكم، يجعلون من أنفسهم **موضع إزدراء** .

لنأخذ مثال **آخاب وإيليا** .. لأنَّ واحدٌ بنى على **الصخر** والآخر على **الرَّمل**، ورغم أنَّهُ كان مَلِكًا، خاف وارتعب عند مقابلته **للنبي**، ارتعب من إنسان لا يملك إلَّا جلد غنم. هكذا كان **اليهود** وليس **الرُسل**، فرغم أنَّ **الرُسل** كانوا قليلي العدد وفي سلاسل، إلَّا أنَّهم أظهروا رسوخًا كالصخر، أمَّا **اليهود** فعلى الرغم من كثرة عددهم وتسليحهم ... بقدر ما بنوا على **الرَّمل** كانوا أضعف من الجميع. لأنَّ الشَّر هكذا دائمًا **واهنٌ ضعيف**، لكن **الرُسل** ليسوا كذلك، إذ قالوا: « لأَنَّنَا نَحْنُ لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا».» (أع ٤: ٢٠).

أرأيتم **روحًا بهذا النُبل، وصخرة تَسْخُر من الأمواج وتحتقرها؟ أرأيتم بيتًا لا يتزعزع؟** إنَّهم لا يهتزون أمام المؤامرات المُدبرة ضدهم، بل بالحري يتشجعون بالأكثر، ويلقون الآخرين في مزيد من **الارتباك والقلق**.

ومن يضرب حجرًا صلبًا ترتد الضربة عليه، ومن يركل حجرًا ترتَدُّ الركلة إليه، ومن يصيب الآخرين بالجراح ويثير مؤامرات ضِدَّ الأتقياء هو الذي **يقع في الورطة**. لأنَّ الشَّر دائمًا هو الأضعف، كُلَّما نظَّم نفسه ضِدَّ الفضيلة .. وهكذا كُلُّ من يضرب الفضلاء ويقيِّدهم يجعلهم **أكثر مجدًا** ويُدَمِّر هو نفسه. وكُلَّما زادت عليك الآلام وأنت تحيا حياة البِرِّ كلَّما صرت أقوى.

الإصحاح الخامس:

العظة الخامسة عشرة: (١كو٥: ١-٨)

٣) بعد ذلك، وبعدما اكتمل قراره أو حكمه، والذي أعلنه بكلام مختصر، أعرَبَ عن تأنيبه وتوبيخه لهؤلاء، قائلًا:

«لَيْسَ افْتِخَارُكُمْ حَسَنًا. أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ خَمِيرَةً صَغِيرَةً تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ؟» (١كو٥: ٦).

مُظهرًا أنَّ أولئك وحتى ذلك الحين، لم يكونوا قد دَعوا ذلك الخاطيء للتوبة، بسبب إفتخارهم به. ثمَّ يوضح أنَّه فعل ذلك لأنَّه يهتم ليس فقط بذلك الخاطيء، بل بهؤلاء أنفسهم، ولذلك أضاف: « أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ خَمِيرَةً صَغِيرَةً تُخَمِّرُ الْعَجِينَ كُلَّهُ؟». بمعنى أنَّه بالرغمِ من أنَّ الخطيَّة قد ارتكبها الزاني، إلَّا أنَّه، إن أهملتم، فمن الممكن لهذه الخطية أن تُدَمِّر بقيَّة جسد الكنيسة. أي أنَّه إذا لم يُعاقَب هذا الزاني الذي أخطأ أولًا، فإنَّ آخرين سيفعلوا نفس الخطايا. إنَّه يتكلَّم هكذا، ليوضح أنَّ الصراع والخطر الذي يمس هؤلاء، يقترب من الكنيسة كلّها، وليس من مؤمن واحد. ولأجلِ هذا طرحَ مثال العجين والخميرة. وكما يقول عن الخميرة، بالرغمِ من أنَّها صغيرة، فإنَّها تُخَمِّر العجين كلّه، هكذا هذا الزاني، إنْ تُرِكَ هكذا بدون عقاب، وإن لم نُعاقِب هذه الخطية، فإنَّها ستُلَوِّث البقيَّة أيضًا.

«إِذًا نَقُّوا مِنْكُمُ الْخَمِيرَةَ الْعَتِيقَةَ، لِكَيْ تَكُونُوا عَجِينًا جَدِيدًا كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ. لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا.» (١كو٥: ٧).

بمعنى إعزلوا من بينكم هذا الشِّرير، وربما لا يتكلم فقط عن هذا (الزاني)، بل ربما يُلمِّح لآخرين أيضًا، لأنَّه ليس الزنا فقط هو خميرة عتيقة، بل وأيَّة خطيَّة أُخرى أيضًا. ولم يَقُل فقط «نَقُّوا» بل ما يقصده هو «نَقُّوا تمامًا»، أي نَقُّوا بحرصٍ واهتمام، حتى لا يتبَقَّى أي بقية ولا أي ظلال من هذه الخطيَّة. وبقوله «نَقُّوا مِنْكُمُ»، يُظهر بأنَّه يوجد بعد، خطايا لدى هؤلاء، لكنه يقول: «لِكَيْ تَكُونُوا عَجِينًا جَدِيدًا كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ.»، يُبيِّن أنَّ الشرّ لم يسيطر على الكثيرين. فعندما يقول: «كَمَا أَنْتُمْ فَطِيرٌ.»، فهو لا يعني أنَّ الجميع كانوا أنقياء، بل يعني أنَّه أنْ تكونوا كما ينبغي، سالكين في طريق التقوى والصلاح. ثمَّ يقول:

«لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا. إِذًا لِنُعَيِّدْ، لَيْسَ بِخَمِيرَةٍ عَتِيقَةٍ، وَلاَ بِخَمِيرَةِ الشَّرِّ وَالْخُبْثِ، بَلْ بِفَطِيرِ الإِخْلاَصِ وَالْحَقِّ.» (١كو٥: ٧-٨).

هكذا دعى تعليمه، بفطير المسيح. أنَّه يُصرّ على التحوُّل (من العتيق إلى الجديد). ويُذكِّرهم بقصَّة قديمة وبالبصخة وبالفطير وبالإحسانات آنذاك، وبالإحسانات الآن وبالعذابات وبالعقوبات. وبناءً على ذلك، فإنَّ الوقت الحاضر هو وقت احتفال. وعندما قال: «لِنُعَيِّدْ»، لم يَقُل هذا لأنَّه كان قريبًا من البصخة، ولا كان وقت الخمسين، بل كان يُريد أن يُظهِر أنَّ كُل الوقت هو وقت احتفال بالنسبة للمسيحيِّين، بسبب وفرة الخيرات التي أُعطيَت لهم. بمعنى ما هو الخير الذي لم يتحقَّق، فالله صار إنسانًا لأجلِكَ، خلَّصَكَ من الموت ودعاكَ إلى ملكوت السموات. إذًا فأنتَ قد نِلتَ وتنال مثل هذه الخيرات، فكيف لا تحتفل كُلّ أيام حياتك؟ إذًا ينبغي ألَّا يتجهَّم أحد أو أن يكون عابسًا بسبب فَقرِه أو مرضِهِ أو بسبب مكيدةِ أعدائه، لأنَّ الزمن كُلَّه هو زمن الإحتفال. ولذلك يقول الرسول بولس: «اِفْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضًا: افْرَحُوا.» (فيليبي ٤: ٤).

وفي الإحتفال، لا يرتدي أحد ملابس بالية ولا نحنُ أيضًا سنرتدي مثل هذه الملابس، فهناك أفراح روحيَّة، لأنَّ يسوع يقول: «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا مَلِكًا صَنَعَ عُرْسًا لابْنِهِ» (متى ٢٢: ٢). إذًا عندما يُقيم ملك أفراحًا وهي ليست مثل سائر الأفراح، بل أفراح لإبنه. فهل يوجد ما هو أعظم من هذا الإحتفال؟ إذًا لا أحد يمكنه

أن يأتي إلى هذا الإحتفال بملابس بالية. إنَّ حديثنا لا ينصرف إلى الملابس، بل ينصرف إلى الأعمال غير النقيَّة. ومادام الجميع يرتدون ملابس بهيَّة، فعندما يوجد في العرس شخص واحد فقط يرتدي ملابس بالية، فإنَّه يُطرد بإزدراء، إذًا فلتفكِّر في مدى الحرص والنقاء الذي يتطلَّبه الدخول في عرس الملك. إنَّ الرسول بولس لا يُذَكِّر هؤلاء بالفطير لأجلِ هذا السبب فقط، بل لأنَّه أراد أن يُظهِر مدى الإرتباط الوثيق بين العهدين القديم والجديد، وإنَّه من غير الممكن بعد الفطير، أن يأتي أحدٌ مرَّة أُخرى إلى مصرَ. (**بالطبع لا يقصد مصرَ كمكان جغرافي بل يقصد العبوديَّة**)، فمن يُريد أن يعود (إلى مصرَ)، سيُعاني نفس الآلام التي عاناها اليهود.

فتلك الأمور التي حدثت قديمًا، كانت ظلال للأمور الجديدة، وليستد فم اليهودي السفيه. ولذلك فلو سُئِلَ ذاك، فلن يقول لك شيئًا مهمًا، ربما يُخبرك بشيء خطير، لكن لا شيء على هذا القدر من الأهميَّة مقارنةً بما نقوله نحن، لأنَّه لا يعرف الحقيقة. فذاك سيقول لكَ إنَّ المصريِّين الذين كانوا أسيادنا قد غيَّرهم الله. فبينما كانوا يُمارسون ضغوطًا علينا ولم يسمحوا لنا أن نعجن العجين، هؤلاء كانوا هم أنفسهم الذين دفعونا فيما بعد للخروج. ولكن إذا سألني أحد، فلن يسمع مني أي ذِكْر عن مصرَ ولا عن فرعون، بل سيسمع عن الحزن الناتج عن **خداع الشياطين، وظلمة إبليس**. لن يسمع عن موسى، بل عن إبن الله ولا عن البحر الأحمر، بل عن المعموديَّة المملوءة خيرات لا تُحصَى والتي فيها يموت الإنسان العتيق. وأيضًا إن سألتَ اليهودي، لأيِّ سبب يُلقي بالعجين خارج كلّ الحدود، فإنَّه صيصمت ولن يذكر السبب. لأنَّ ما حدث كان يمثِّل رموزًا لما سيحدث في المستقبل، وما حدث يُعتبر عِلَّة تفسر ما سوف يحدث، وإن كانت بعض الأمور الأُخرى قد حدثت، فذلك حتى لا يُسمَح لليهود أن يسلكوا في الشرور وحتى لا يبقوا في الظلال. أخبرني ماذا يُريد الربّ بشاةٍ صحيحة ذَكَر إبن سنة وأنَّ «تَكُونُ لَكُمْ شَاةً صَحِيحَةً ذَكَرًا ابْنَ سَنَةٍ...وَعَظْمًا لاَ تَكْسِرُوا مِنْهُ.»؟ (خروج ١٢: ٥-٤٦). ما معنى أن يأخذ هو وجاره، ما معنى واقفين «أَحْقَاؤُكُمْ مَشْدُودَةٌ»، ما معنى أن تأكلونه في المساء، أو ما معنى أن يُؤَمِّنوا البيوت بالدم؟ «وَيَأْخُذُونَ مِنَ الدَّمِ وَيَجْعَلُونَهُ عَلَى الْقَائِمَتَيْنِ وَالْعَتَبَةِ الْعُلْيَا فِي الْبُيُوتِ». لن يقول اليهودي شيئًا سوى أن يُشير إلى مصرَ وما حدث فيها.

أمَّا أنا فسأقول لكَ ما معنى الدم، وما معنى أكل خروف الفصح معًا وفي المساء، وأنَّ الجميع يأكلون واقفين.

يتبع في العدد القادم

لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا. (١ كورنثوس ٢: ٢)

المسيح المصلوب:

حمل الفصح الجديد

قال الرسول بولس لأهل كورنثوس: «لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا» (١ كورنثوس ٢: ٢).

لم تكن هذه الكلمات إعلانًا عاطفيًّا، بل إيمانًا راسخًا بأنَّ المسيح المصلوب هو مركز كلّ معرفة خلاصيَّة، وهو تحقيق لكل رموز العهد القديم، ولا سيّما فصح الخروج، حيث قيل:

«وَيَأْخُذُونَ مِنَ الدَّمِ وَيَجْعَلُونَهُ عَلَى الْقَائِمَتَيْنِ وَالْعَتَبَةِ الْعُلْيَا فِي الْبُيُوتِ الَّتِي يَأْكُلُونَهُ فِيهَا» (خروج ١٢: ٧).

كان دم الحمل الفصحي يُرشّ على الأبواب لكي يعبر الملاك المُهلك، فلا يُصاب بكر البيت بالموت. ذلك الدم كان ظلًّا ورمزًا، أما الحقيقة فهي دم يسوع المسيح، الحمل الحقيقي، الذي صُلِب خارج أورشليم، وسُفك دمه على خشبة ليُفتح لنا باب الحياة الأبديّة.

صار الصليب باب العبور الجديد – لا من أرض مصر إلى البريّة، بل من عبوديّة الخطيئة إلى حرية ملكوت الله. وكما أكل بنو إسرائيل الحمل داخل البيت المحمي بالدم، هكذا نتناول اليوم جسد المسيح ودمه في سرّ الشكر، داخل الكنيسة التي اختُتمت بدم العهد.

فكل من يرسم ذاته بدم المسيح، بالإيمان والمعمودية والتوبة، ينجو من الهلاك، لأنّ المسيح المصلوب صار لنا فصحًا، كما يقول بولس: «فَإِنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا، الْمَسِيحَ، قَدْ ذُبِحَ لِأَجْلِنَا» (١ كورنثوس ٥: ٧).

إن كنتَ تبحث عن معنى لحياتك، وإن أرهقك الخوف أو أحاط بك الضعف، فلا تنظر إلى ذاتك، بل ارفع عينيك نحو الصليب. هناك الحبّ كاملًا، وهناك تُغفَر خطاياك، وهناك ينبع الرَّجاء الذي لا يخيب.

تعالَ إلى المصلوب، لا بكثرة الكلام، بل بقلب منكسر وتوبة صادقة، وستسمع في أعماقك الصوت الإلهيّ:

«لاَ تَخَفْ لأَنِّي فَدَيْتُكَ. دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. أَنْتَ لِي» (إشعياء ٤٣: ١).

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح
كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html
لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122